

Received on (31-01-2026) Accepted on (19-04-2026)

<https://doi.org/10.33976/IUGJIS.34.3/2026/1>

Thematic and Stylistic Coherence in the Qur'anic Verses Beginning with the Address: {O you who have believed, fear Allah}

Shereen Yassin Syaj^{*1}, Prof. Jihad Mohammad Al-Nuseirat^{*2}
Department of Usul al-Din, Faculty of Sharia, University of Jordan, Amman, Jordan^{1,2}

*Corresponding Author: shereensyaj79@gmail.com

Abstract:

This study aims to explore the thematic coherence among the Qur'anic verses that begin with the Divine address: {O you who have believed, have Taqwa of Allah}, by examining the thematic connections between the surahs in which these verses occur, as well as the interrelations among the verses themselves. It also seeks to highlight the stylistic coherence of these verses through investigating the common linguistic features they share. To achieve these objectives, the study adopted the inductive, analytical, and descriptive approaches. The findings correspond to the main theme of the research. Among the most important results is the existence of thematic relations between the surahs where these verses occur, noting that they are all Madinan surahs. These surahs also represent the highest proportion of verses addressing taqwa among the Madinan surahs, at 76.4 percent. In addition, these verses contain directives to the believers, legislative rulings, and other related matters. The study also found interconnections among these verses.

Keywords: Thematic coherence, Stylistic coherence, O you who believe, be mindful of Allah.

التناسب الموضوعي والأسلوبي بين الآيات المستهلة بقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}

شيرين ياسين سياج¹، أ.د. جهاد محمد النصيرات²

قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.^{1,2}

المخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن التناسب الموضوعي بين الآيات المُستهلة بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}، وذلك من خلال إبراز العلاقات الموضوعية بين السور التي وردت فيها هذه الآيات، و الروابط الموضوعية بين الآيات نفسها، و إبراز التناسب الأسلوبي بين هذه الآيات عن طريق البحث عن القضايا اللغوية المشتركة بينها، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والوصفي، وخلصت الدراسة إلى نتائج تتسق ومضمون العنوان، ومن أبرزها وجود علاقات موضوعية بين السور، التي وردت فيها الآيات المُستهلة بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} حيث إنها كلها مدنية، وأيضا تعتبر هذه السور أكثر السور المدنية ورودا لآيات التقوى فيها بنسبة 76,4%، وأيضا تضمنت توجيهات للمؤمنين، وتشريعات، وغير ذلك مما سنبينه في الدراسة، و كذلك وجود روابط موضوعية بين هذه الآيات.

كلمات مفتاحية: التناسب الموضوعي، التناسب الأسلوبي، أسلوب يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ.

مقدمة:

بسم الله ، الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، كتاب الله، كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، لذلك كل ما يتعلق بالقرآن الكريم من علوم ودراسات، لها أهمية كبيرة ترتبط بصاحب هذا الكتاب الله - عزوجل -، سبحانه أنزل كتابه هداية وصلاحا لهذه الأمة، لذا لا بد من دراسة آياته دراسة متعمقة؛ حتى نجني ثمارها، ونحقق مقصودها، ومن أبرز هذه الدراسات ما يتعلق بالتناسب الموضوعي والأسلوبي، سواء المتعلقة بسوره أو آياته، والمتأمل في آيات القرآن الكريم وخاصة المتشابهة في نظمها أو موضوعها يجد أن هناك روابط تجمعها خاصة عند تدبرها، ولا أدل على ذلك من قول الخطيب الإسكافي - رحمه الله تعالى - (420هـ): " إذا أورد الحكيم سبحانه آية على لفظة مخصوصة، ثم أعادها في موضع آخر في القرآن، وقد غير لفظه عما كانت عليه في الأولى، فلا بد من حكمة تطلب وإن أدركتموها فقد ظفرت، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم. "(1) وهذه الدراسة التي نحن بصدها تتناول دراسة الآيات المستهله، بقوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}، حيث تكررت سبع مرات في السور الكريمة التالية: (البقرة، آل عمران، المائدة، التوبة، الأحزاب، الحديد، الحشر) وهي كالاتي:

{يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: 278]

{يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]

{يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35]

{يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]

{يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: 70]

{يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الحديد: 28]

{يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: 18]

وتضمن النداء الإيماني: الأمر بتقوى الله ابتداء، ثم ذكرت أوامر ونواهي جوهرية أخرى، وبما أن مفتاح الآية قد تتكرر بسور مختلفة؛ فحري بنا أن ندرسها دراسة موضوعية أسلوبية عميقة، حتى نصل إلى الروابط والعلائق التي تجمعها. والله الموفق، نسأله سبحانه الهدى والسداد.

مشكلة الدراسة

تكمن المشكلة في آيات الدراسة بأنها خاطبت المؤمنين بالنداء الإيماني، وصدرت ذلك بالأمر بالتقوى، وتكرر هذا الأمر في سبع آيات؛ فكان لا بد من البحث في هذه الآيات، وأقوال المفسرين حولها، وتحليل سياقاتها فانفاقها في مطلعها يؤكد وجود تناسب وتناسق بينها، واختلاف باقي نظمها وواصلتها يؤكد تنوع موضوعاتها، وتسعى الدراسة للإجابة عن السؤالين الآتيين:

١- ما التناسب الموضوعي بين السور والآيات المستهله بقوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} ؟

٢- ما التناسب الأسلوبي بين الآيات المستهله بقوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} ؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة لتحقيق ما يلي..

١- الكشف عن التناسب الموضوعي بين السور والآيات المستهله بقوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}.

(1) الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، ص 250.

٢- الكشف عن التناسب الأسلوبي بين الآيات المُستهله بقوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}.
أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها:

- 1- تتناول بيان قيمة المتشابه اللفظي لطلبة العلم، وأثره في الدراسات القرآنية من خلال الكشف عن التناسب الموضوعي، والأسلوبي بين الآيات المُستهله بقوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}.
- 2- تسهم في إتمام جهود العلماء والباحثين في خدمة هذا الموضوع.
- 3- تبين دور علماء التفسير وعلوم القرآن، واهتمامهم بالوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم، والقضايا الموضوعية واللغوية فيها، التي من خلالها تسعى هذه الدراسة لإظهار التناسب الموضوعي، والأسلوبي بين آياتها.
- 4- تضيف للمكتبات الإسلامية إضافة علمية جديدة في هذا الموضوع، ولا يخفى نفع ذلك على طلبة العلم الشرعي عامة وطلاب التفسير وعلوم القرآن.

الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع بحثنا، وجدنا دراستين تناولتا النداء بقوله تعالى: " يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا "، وهذا جزء من تركيب موضوع دراستنا {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} وهما:

1. " يا أيها الذين آمنوا: دراسة في التفسير الموضوعي " (2000م) المفرق، جامعة آل البيت، لـ محمد صدقي محمد، هذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير محكمة، تهدف هذه الدراسة إلى بيان حكمة تكرار النداء بهذا الأسلوب، والدقائق واللطائف التفسيرية في ارتباط هذه الآيات، وبيان الموضوعات التي تؤدي من أجلها المؤمنون، وبيان علاقة هذه النداءات بموضوع سورتها، حيث اتبع الباحث المنهج الاستقرائي، فقام باستقراء الآيات المصدرة بقوله تعالى: " يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا " وتصنيفها حسب موضوعات محددة، ثم المنهج المقارن من خلال المقارنة بين آيات الموضوع الواحد، وخُصت الدراسة إلى نتائج عدة أهمها: أن الله تعالى خص المؤمنين بنداء " يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا " في تسعة وثمانين موضعاً، بنظم جميل، تؤدي الغرض الذي تناولته السور الواردة فيها بل كانت أكثر آياتها تعميقاً له، وجاءت تأكيداً لإيمانهم وترشدهم إلى ما يصلح أعمالهم.

2. "النداء بـ يا أيها الذين آمنوا في القرآن الكريم: دراسة تفسيرية " (2015م) الكرك، جامعة مؤتة، للباحث فواز فارس الطراونة، هذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير محكمة، بحثت النداءات بـ " يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا "، وبعد الاستقراء تبين أنها تشمل خمسة مواضيع رئيسية؛ فهدفت الدراسة إلى بيان طبيعة هذه النداءات الإلهية الشاملة للموضوعات الخمسة وهي:

- 1- النداءات الإلهية الخاصة بالنبى - صلى الله عليه وسلم -.
- 2- النداءات التي تناولت العلاقة مع غير المسلمين، أو أهمية التعاملات المالية من حيث الحل والحرمة.
- 3- الكشف من خلال النداء الإلهي عن أهمية التعاملات المالية.
- 4- بيان الإشارة القرآنية إلى تخصيص بعض العبادات بنداء إلهي لافتة إلى مزيد من العناية بها.
- 5- تركيز النداءات على إبراز الأخلاق ودورها.

قامت الدراسة على المنهج الاستقرائي، بجمع النداءات الإلهية للمؤمنين من خلال المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وحصرت نداءات كل موضوع على حدة، والمنهج التحليلي من خلال تحليل نصوص التفسير، واستخراج المعاني اللغوية من مصادرها، والمنهج الاستدلالي بذكر أقوال المفسرين، وأدلتهم فيما يخص مواضيع الدراسة، والمنهج الوصفي في السبر

والتقسيم، ومن أبرز نتائج الدراسة: إظهار عناية النداءات الإلهية بالقيم التربوية والأخلاقية، وكشفت عن أهمية موضوع التأدب مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وغير ذلك. أفدنا من الدراسات السابقة ادراك أهمية النداء للمؤمنين، وما يتضمنه من توجيهات وأوامر، بمختلف القضايا والموضوعات؛ حيث إن هذه الدراسات ركزت على النداء الإيماني من الناحية التفسيرية والموضوعية، ولكن في دراستنا خصصنا النداء الإيماني المتصدر بالأمر الرباني (اتَّقُوا اللَّهَ) حيث تكررت سبع مرات، والقرآن الكريم معجز ولا بد من لطيفة وغاية لهذا النداء {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}، وسنبحث خلال هذه الدراسة عن التناسب الموضوعي والأسلوبي لهذه الآيات، التي تثبت إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، من خلال تناسقه وتماسكه ووحدة موضوعاته، بينما الدراسات السابقة لم تتناول التناسب الموضوعي و الأسلوبي، و اقتصرت على الجانب التفسيري والعرض الموضوعي.

منهج البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهجين الآتيين:

المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء الآيات التي ورد فيها النداء {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} في القرآن الكريم، واستقراء أقوال المفسرين والعلماء حولها في كتب التفسير القديمة والمعاصرة، وكتب المتشابه اللفظي، والكتب التي تهتم بالوحدة الموضوعية للسور والمناسبات.

المنهج التحليلي: من خلال تحليل السياقات التي ورد فيها النداء الكريم، وتحليل أقوال المفسرين حولها، ثم التوصل إلى العلاقة بين كل آية من آيات الدراسة مع الوحدة الموضوعية للسورة التي وردت فيها، ومن ثم استنباط أبرز العلاقات الموضوعية بين هذه السور.

خطة البحث

تضمنت الدراسة مقدمة، ومبحثين، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وتتناول مشكلة الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، والدراسات السابقة، والمنهج الذي سارت عليه الدراسة.

المبحث الأول: التناسب الموضوعي بين السور والآيات المستهله بقوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}

المطلب الأول: العلاقات الموضوعية بين السور التي ورد فيها قوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} في الترتيب.

المطلب الثاني: الروابط الموضوعية بين هذه الآيات المستهله بقوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}.

المبحث الثاني: التناسب الأسلوبي بين الآيات المستهله بقوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}.

المطلب الأول: القضايا اللغوية التي تجمع الآيات التي ورد فيها النداء {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}.

المطلب الثاني: المتشابه اللفظي بين هذه الآيات المستهله بقوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}.

الخاتمة وتضم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التناسب الموضوعي بين السور والآيات المستهله بقوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}

المطلب الأول: العلاقات الموضوعية بين السور التي ورد فيها قوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} في الترتيب

سنبحث في هذا المطلب أهم ما يجمع هذه السور من علاقات موضوعية، ومباحث وقضايا اتفقت هذه السور على ذكرها.

أولاً: كل السور التي ورد فيها هذا التركيب (البقرة، آل عمران، المائدة، التوبة، الأحزاب، الحديد، الحشر) سور مدنية⁽¹⁾،

وجميعها تناولت قضايا مفصلية في القرآن المدني.

(1) يُنظر: السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، ج1، ص 44-45. ويُنظر كذلك: الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ج1، ص163.

ثانيا : جميع هذه السور يكثر فيها ذكر التقوى، وإن كان موضوع التقوى موجودا في القرآن بمكيه ومدنيه، فلو تناولنا كل السور المدنيه - بما أن سور الدراسة كذلك - نجد عدد الآيات التي ورد فيها لفظ "التقوى"، بمختلف اشتقاقاته عددها (106) آيات، منها (81) آية وردت في سور الدراسة، وبهذا تكون نسبتها بالنسبة للسور المدنيه 76,4%،⁽¹⁾ وهذه نسبة مرتفعة تثبت مركزية، وأهمية موضوع الأمر بالتقوى في هذه السور، وعلى وجه التفصيل؛ ورد الأمر بالتقوى في (69) موضعا في القرآن كله، منها (33) موضعا في سور الدراسة، أي قريبا من نصفها، و (68) موضعا في الحث على التقوى، منها (22) موضعا في سور دراستنا، أي قريب من الثلث،⁽²⁾ وهذا يعطينا إشارة لسبب تكرار قوله تعالى {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاتُوا ءَلَّهُ} في هذه السور تحديدا، والله أعلم.

ثالثا: الحديث عن بني إسرائيل، ففي سورة البقرة التي يدور محورها حول منهج خلافة الله في الأرض، بين من أضاعه من بني إسرائيل، ومن أقامه من المؤمنين⁽³⁾، فذكرت سبب عزل بني إسرائيل عن خلافة الأرض؛ بعدم إيمانهم بالرسول -صلى الله عليه وسلم- (4) {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلٍ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89) بِسْمَا أَسْتَرُوا بِهِ ءَأَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَعِيْنَا أَن يَنْزِلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ءَعَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُ وَبِعَضِّ عَلَىٰ عَضْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (90) { [البقرة: 89-90]. وفي آل عمران، وإن كان حديثها المطول عن النصارى، ولكن كان هناك إشارات وتقريرات عنهم، وتحذير للمسلمين منهم⁽⁵⁾ مثل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيْقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ}. [آل عمران: 23].

وأما حديث سورة المائدة عنهم؛ فكان ذا طابع خاص، ومرتبب بموضوعات السورة الرئيسة، التي تحدثت عن أحكام العقود معهم، ونقضهم لها وتحريفهم لكتابهم،⁽⁶⁾ {فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ءَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ ءَوَلَا تَرَال تَطَّلُعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ءَلَا قَلِيْلًا مِّنْهُمْ} [المائدة: 13] بعد أن أخذ الله عليهم الميثاق { وَوَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيْلَ } [المائدة: 12]، و ذكر قصة موسى عليه السلام معهم في دخول بيت المقدس، وردهم القبيح له كنموذج على عصيانهم لأمر الله تعالى⁽⁷⁾. وأما سورة التوبة فقد حددت العلاقة النهائية بين المسلمين وغيرهم، ومن ضمنهم بنو إسرائيل، وهو أن يسلموا أو يُقاتلوا حتى يدفعوا الجزية للمسلمين،⁽⁸⁾ {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِءِءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ءَوَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزِيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } [التوبة: 29]، وفي سورة الأحزاب التي تحدثت عن خيانتهم - وتحديدا بني قريظة - لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- لإعانتهم الأحزاب في قتال المسلمين؛ فهم قوم الخيانة طبع لهم، ولكن الله لهم بالمرصاد، { وَأَنزَلَ

(1) عدد الآيات التي ورد فيها لفظ "التقوى" بمختلف اشتقاقاته في كل سور القرآن (193) آية، وبذلك تكون نسبة عدد الآيات في سور الدراسة

بالنسبة لكل عدد الآيات في القرآن كله تقريبا 42% وهذه أيضا نسبة مرتفعة لسبع سور في مقابل 114 سورة، للاطلاع على كل هذه

الآيات يُنظر: جامع الكتب الإسلامية، الرقائق و الأداب والأذكار، آيات التقوى في القرآن الكريم ketabonline.com / 2 / 9 / 2025.

² يُنظر: محمود محمود إسماعيل، تصنيف آيات القرآن الكريم، ج1، ص347-392.

(3) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص28.

(4) يُنظر: المرجع السابق، ج1، ص30.

(5) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص352.

(6) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج2، ص289.

(7) يُنظر: سورة المائدة: 20-26.

(8) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1565-1566.

الَّذِينَ ظَهَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِيهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا { [الأحزاب: 26]،
وواجبنا كما أرشدتنا سورة الحديد عدم التشبه بهم في قساوة قلوبهم، وتنمية الخشوع في قلوبنا لذكره - عز وجل - ﴿
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ { [الحديد: 16]، وهذا منسجم مع موضوع السورة في تحقيق حقيقة الإيمان، وما
ينبتق منه من خشوع وخشية بعدم التشبه ببني إسرائيل في قساوة قلوبهم، ⁽¹⁾ وبالإضافة إلى ذلك حديث السورة عن وحدة
الرسائل السماوية، ⁽²⁾ وضرورة الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وأن النبوة فضل من الله يصطفي به من يشاء،
وليست حكرًا على بني إسرائيل {لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ { [سورة الحديد: 29] ⁽³⁾.

وفي سورة الحشر التي سماها ابن عباس -رضي الله عنهما - بسورة بني النضير ⁽⁴⁾، التي تحدثت عن خيانتهم لرسول
الله -صلى الله عليه وسلم- ومن ثم نصر الله تعالى للمسلمين عليهم دون قتال، وإجلالهم من المدينة، { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ
اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ {
[الحشر: 2]، وهكذا تتحقق العبرة للمؤمنين بضرب مثيلين لخيانة بني إسرائيل للمسلمين في غزوة الأحزاب، وغزوة بني
النضير، وتأييد الله للمسلمين ونصره لهم.

رابعاً : الحديث عن المنافقين، بدأ الحديث عنهم وظهر أحكامهم في سورة البقرة، ⁽⁵⁾ التي قال عنها الخضير أن لها
محور واحد مزدوج ذو خطين رئيسين مترابطين؛ فأحدهما -والذي له ارتباط بالمنافقين - موقف بني إسرائيل من الدعوة
الإسلامية في المدينة ومواجهتهم لها، وسائر ما يتعلق بذلك من علاقة قوية بين اليهود والمنافقين ...، فتحدثت بداية السورة
عن مواقف الناس من دين الله، فوصفت المنافقين وصفا مطولاً، ⁽⁶⁾ قرابة ثلاث عشرة آية من (8-20)، { وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ (9) } [البقرة: 8-9]، وبعد ان عرفتنا بهم سورة البقرة، جاء التحذير منهم في آل عمران التي يدور محورها
كما ذكر جعفر شرف الدين في موسوعته عن حقيقة الألوهية، فبينت الحق الذي جاء به نبينا محمد في رسالة الإسلام،
فتوجهت إلى جماعة المسلمين الذين جمعهم الحق، وتكونوا على أساس الرحمة لتحذيرهم من دسائس المنافقين، واليهود
حتى يظلوا إخوة معتصمين بحبل الله ... فحذرت من موالاتهم، ⁽⁷⁾ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِيَّطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا
يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عِنتُمْ قَدِّبَتِ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهُمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدِّبْنَا لَكُمْ النَّيِّبَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
{ [آل عمران: 118] ولا يكفي التحذير من أمر هؤلاء المنافقين، فلا بد من فضحهم وبيان نقضهم للعهد، فجاءت سورة

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3475-3476.

(2) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج8، ص3.

(3) ينظر: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج8، ص27.

(4) البخاري، صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليهم،
ج5، ص88، حديث رقم: (4029).

(5) الخضير، الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: (149)، بدون تاريخ، ص83.

(6) المرجع السابق، ص99.

(7) ينظر: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج2، ص11-12.

المائدة (1) تبين ذلك وتدعو النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى عدم الحزن على مسارعة المنافقين، واليهود في نقض العهود، (2) { يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَقْوَامِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ } [المائدة: 41]، وجاءت سورتا التوبة والأحزاب تعطينا أمثلة حيّة على خيانتهم ونقضهم للعهد؛ ونبدأ بسورة التوبة التي أطلت الحديث عن المنافقين لأكثر من نصفها، (3) تضرب لنا مثالا تطبيقيًا على خيانتهم في غزوة تبوك، حيث كشفت أسرارهم { يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ } [التوبة: 64]، { وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ (56) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَعْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57) } [سورة التوبة: 56-57]، وأظهرت أعدارهم الواهية في تخلفهم عن الغزوة { لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [سورة التوبة: 42]، ولا يكتفون بذلك بل يبشطون المؤمنين بقولهم: لا تنفروا في الحر، وغير ذلك، وأما سورة الأحزاب فتحدثت أيضا عن خيانتهم، فضحت أمرهم من خلال أحداث غزوة الخندق، التي تعتبر من أهم موضوعات السورة، حيث صوّرت حقيقة المؤامرة على الإسلام، ووضحت خفايا المنافقين، وصفاتهم القبيحة، وحذرت المؤمنين من أساليبهم في الكيد والتشيط بصورة مفصلة، (4) { وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) وَإِذْ قَالَتْ طَافِقَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } [الأحزاب: 12-13].

وأما سورة الحديد فضربت مثالا عجيبا عن حال المنافقين يوم القيامة، والذي ينسجم انسجاما تاما مع مدار السورة، الذي يتركز حول تحقيق حقيقة الإيمان في القلب، وما ينبثق منه من خشوع وإخلاص، فلما ظهرت غلبة المسلمين، اضطر المنافقون إلى التحفي مع بقاء قلوبهم مشوبة غير خالصة، فالسورة تميز مصيرهم يوم يعزلون عن المؤمنين يوم القيامة، (5) { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَاطِنٌ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (13) يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (14) } [الحديد: 13-14]، وبعد هذا العرض المفصل عن المنافقين، تأتي سورة الحشر تعرفنا عن الله تعالى، وعظيم قدرته من خلال أفعاله وأحكامه وأسمائه، وفي حديثها عن صفات المتقين والكافرين والمنافقين والتفصيل لهذا التنوع في الوجود دليل على شمول علمه وعظيم قدرته سبحانه، (6) { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ بِيَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الحشر: 11] وماذا بعد شهادة الله عنهم بالكذب .!؟

(1) ذكر الخضير أن من خصائص السور المدنية في المرحلة المدنية الثانية فضح المنافقين وهتك أسرارهم، وسورة المائدة من سور تلك

المرحلة، يُنظر: الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، ص 84-85.

(2) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 2، ص 326. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج 2، ص 223.

(3) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 3، ص 1567-1568.

(4) الخضير، الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، ص 105.

(5) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3476.

(6) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 8، ص 56.

خامسا: توجيهات الله تعالى للمؤمنين، فسورة البقرة التي تحورت حول مقومات الخلافة في الأرض، وأهلها ومنهج إقامتها،⁽¹⁾ دُخِرَتْ بتوجيهات وأوامر ربانية للمؤمنين، مثل قوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَءَعْنَا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا وَاسْمَعُوا} [البقرة: 104] و {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} [البقرة: 110]، وغير ذلك من الآيات.

وفي آل عمران جاءت توجيهات عظيمة تحث الأمة على الاعتصام بحبل الله تعالى، وحفظ هذه الأمة بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} و {وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103] {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104].

ومع بداية سورة المائدة يأتي توجيهه تعالى للمؤمنين، بقوله: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُوبِ} [المائدة: 1] و {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ} [المائدة: 2] {كُونُوا قَوْمًا لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَا تَعْدِلُونَ} [المائدة: 8]، وهذه السورة الكريمة مليئة بالتوجيهات التي نبعث من كثرة النداءات فيها للمؤمنين، حيث بلغ عددها ستة عشر نداءً⁽²⁾.

وننتقل إلى التوبة التي تضمنت أحكاما نهائية في العلاقة بين الأمة المسلمة وغيرها، فأصدرت حكما نهائيا في التعامل مع المشركين، الذين أصروا على كفرهم وعنادهم، وصددهم عن دعوة الحق، {فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا فَاتَّبِعُوا وَاقْتَصُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: 5] { قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْكُمْ وَيُنصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} [التوبة: 14] وأيضا أمرت بقتال أهل الكتاب إذا عرضوا عن دعوة الإسلام، ولم يستجيبوا حتى يدفعوا الجزية { قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ ءَآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } [التوبة: 29]، وأطالت الحديث عن المنافقين وكذبهم، فجاءت التوجيهات منسجمة مع ذلك تحث على قتالهم تارة⁽³⁾ {يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاَعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المصير} [التوبة: 73]، وتحث المؤمنين على إتقان العمل وتقوى الله، و الصدق تارة أخرى { وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة: 105] {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ} [التوبة: 119].

وسورة الأحزاب التي ركزت على مكانة النبي - صلى الله عليه وسلم - وعظيم قدره⁽⁴⁾، فأمرت بطاعته، وحذرت من معصيته، وقرنت ذلك بالله تعالى، {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} [الأحزاب: 36] { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } [الأحزاب: 41] وجاءت بتوجيهات وآداب ينبغي مراعاتها في التعامل مع نبيها، { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤدِّنَ لَكُمْ } [الأحزاب: 53] ورفعت من قدره بالأمر بالصلاة عليه، {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56] ونهت عن أدبته - عليه أفضل الصلاة والسلام - ولو بكلمة وأتبع ذلك بالأمر بتقوى الله، والقول السديد،

(1) يُنظر: المرجع السابق، ج1، ص27-28.

(2) مغاربة محمد صدقي محمد، والدغامين زياد خليل محمد، رسالة ماجستير محكمة بعنوان: " يا أيها الذين آمنوا: دراسة في التفسير

الموضوعي للقرآن الكريم"، المفرق، جامعة آل البيت، 2000م، ص 18.

(3) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1565-1568.

(4) يُنظر: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5، ص65.

{يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَٰهًا (69) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاتُوا اللَّهَ حَقَّ يُسُوعَىٰ} [الأحزاب، 69-70].

سورة الحديد مليئة بالتوجيهات الربانية؛ فكيف لا؟! وهي تعمل من خلال ذلك على تحقيق الإيمان في القلب، {ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} وما يترتب عليه من الأمر بالإنفاق في سبيل الله، {وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ءَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: 7]، وما ينبثق عنه من خشوع {لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...}، وتضع قيم الدنيا والآخرة في ميزان الحق، (1) { أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ... وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: 20]، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال المسارعة والمسابقة في الخيرات، والصالحات بعد الإيمان بالله تعالى وتقواه، والإيمان برسوله الكريم، حتى ننال مغفرة من الله تعالى ورحمة، ونور تام على الصراط حتى نصل إلى جنة ربنا - عز وجل - { سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...} [الحديد: 2]، {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاتُوا اللَّهَ حَقَّ يُسُوعَىٰ} [الحديد: 28].

وآخر المطاف مع سورة الحشر التي أعطتنا الخلاصة الصافية، والتوجيه الأمثل لدوام الالتزام بهذه التوجيهات، وذلك بتقوى الله تعالى ولزوم طاعة نبيه، وهذا هو السبيل للاستعداد ليوم غدٍ، {وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر: 7]، {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاتُوا اللَّهَ حَقَّ يُسُوعَىٰ وَتَنْتَظِرُ نَفْسُ مَا قَدَمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر: 18].

سادسا: نكر الأحكام والتكاليف الشرعية والحدود والعقوبات، السور المدنية غنية جدا بذكر ذلك، لذا سأذكر بعض الأمثلة على سبيل التمثيل لا الحصر؛ لأن المقام لا يتسع لذلك.

نبدأ بسورة البقرة التي قال فيها ابن عاشور: " ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين: قسم يُثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعاتهم" (2)، وذكر الخضيرى أن من مقاصدها تحميل العباد أمانة خلافة الأرض، وأمانة إقامة الدعوة إلى الدين الحق، وتطبيقه تطبيقا كاملا بعقائده وشرائعه؛ لذا من الطبيعي أن نجدها مليئة بالتشريعات المختلفة، وخاصة لأهميات العبادات (3) مثل: الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة بإجمال، و الأمر بالصوم والحج، وفي نظام العقوبات شرع القصاص، والتأكيد على أن مضار وإثم الخمر والميسر أكبر من نفعهما، تمهيدا لتحريمهما، وأما في مجال العلاقات الأسرية ففصل في أمر الطلاق، (4) وغيرها الكثير. وفي آل عمران جاء الأمر صريحا بالحج {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: 97]، وجاءت أحكام أخرى تتعلق بالمعاملات المالية مثل: تحريم الربا، ولكن سأفردنا بنقطة مستقلة لأهميتها.

ووصلنا إلى سورة المائدة المليئة بالتشريعات الإسلامية، فيما يخصنا، وفي علاقتنا مع أهل الكتاب، وفي هذه السورة جاء الإعلان من الله أن الدين اكتمل عبادات وتشريعات ومعاملات، (5) فقال سبحانه: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]، ونعرج على بعض هذه الأحكام مثل: ذكر ما حُرِّمَ من الأطعمة، و إباحة

(1) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص3475-3476.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص203.

(3) الخضيرى، الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، ص99.

(4) يُنظر: الآيات التي وردت فيها الأحكام: سورة البقرة: 110، 183، (196 - 203)، 178، 219، (228-232).

(5) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج2، ص296.

طعام الذين أوتوا الكتاب، وإباحة زواج الكتابيات، وأيضا بيان فروض وأركان الوضوء، وأحكام أخرى مثل الغسل والتيمم، ذكر بعض الحدود مثل حد الحرابة وحد السرقة، و تحريم الخمر والميسر⁽¹⁾.

سورة التوبة أطالت الحديث فيما يتعلق بالأحكام الشرعية، فيما يتعلق بالقتال نذكرها فيما بعد، وأيضا تناولت بعض الأحكام الفقهية عن الأشهر الحرم، {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ...} {سُورَةُ التَّوْبَةِ: 36}، {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ ءَعَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ ءَعَامًا} {سُورَةُ التَّوْبَةِ: 37}.

سورة الأحزاب:

ذُكِرَ فِيهَا تَحْرِيمُ التَّبَنِيِّ، {وَمَا جَعَلَ ءَدْعِيَاءَكُمْ ءَبْنَءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَفْقَهُ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4) ءَدْعُوهُمْ لِءَابَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَبْنَءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} (5) {سُورَةُ الْاَحْزَابِ: 4-5}، وذكرت أحكاما شرعية فيما يتعلق بالمطلقات قبل الدخول، {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعِيَهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا} {سُورَةُ الْاَحْزَابِ: 49}.

سورة الحديد: تناولت أحكاما شرعية تتعلق بالإففاق، والحث على الصدقة سنذكرها لاحقا.

سورة الحشر: ذُكِرَ فِيهَا حُكْمُ الْفِيءِ، {مَا ءَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِمَّنْ ءَهِلَ النَّفْرَةَ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ...} {سُورَةُ الْحَشْرِ: 7}..

سابعاً: ذكر القتال والجهاد في سبيل الله

سورة البقرة

ذكر محمد طاهر أن موضوع سورة البقرة الرئيس، مكونا من أربعة أمور، ثالثها: الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله⁽²⁾ {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [البقرة: 190 و 244]، وتضمنت الإذن بالجهاد مع الحث عليه،⁽³⁾ عن طريق الترغيب بالموت في سبيل الله، {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتٌ ۗ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: 154]، وأيضا ذكر الأمر بالقتال مجملا {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ} [البقرة: 216].

سورة آل عمران

بعد الإجمال في سورة البقرة، يأتي التفصيل في سورة آل عمران بمشاهد من غزوة أحد، التي تمثل الموضوع الثاني من موضوعي السورة الرئيس،⁽⁴⁾ حيث استعرضت أحداث الغزوة، وأطالت في ذكر فضل الجهاد، والصبر على ذلك، فبدأت بمقدمات عن غزوة أحد، {وَإِذْ عَدُوَّتْ مِنْ ءَهْلِكَ تَبَوُّءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.....} {آل عمران: 121}، ويسبب استشهاد عدد كبير من الصحابة؛ فكان لا بد من ذكر فضل الموت في سبيل الله، بطريقة تزرع الطمأنينة والسرور في قلوب المؤمنين، فقال عز اسمه: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتًا ۗ بَلْ ءَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} {آل عمران: 169}، وبالمقابل بينت سبب هزيمة المسلمين في هذه الغزوة، {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا ءَرٰنَكُمْ مَا نُحِبُّونَ ۗ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ ءَآخِرَةَ ۗ ثُمَّ صَرَفَكُمْ

(1) يُنظر: سورة المائدة: 3، 5، 6، 33، 38، 90.

(2) محمد طاهر، سمط الدرر في ربط الآيات والسور وخلصتها المختصر لمن أراد أن يتذكر أو يتدبر، ص 33.

(3) ذكر الخضير من خصائص السور المدنية في مرحلتها الأولى: الإذن بالجهاد والحث عليه، ومن سور هذه الفترة سورتا البقرة وآل عمران،

يُنظر: الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، ص 82.

(4) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 1، ص 349-352.

عَنَّهُمْ لِيُبَيِّنَنَّكُمْ وَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 152]، والدروس المستفادة من ذلك،⁽¹⁾ **لَوْ مَا أَصَبَكُمْ يَوْمَ التَّنْقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166)** وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ فِتْنَالَا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167)} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 166-167]، و **مَا كَانَ اللَّهُ لِيُنزِلَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطِيعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ء وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: 179].

سورة المائدة

وبعد

أن فصلت آل عمران، جاءت المائدة العامة بالتوجيهات والأحكام المختلفة، وبعد بيان حد الحرابة، جاءت بالأمر بالجهاد في سبيل الله، فقال تقديست أسماؤه: **{وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [المائدة: 35]، وهذا ما سنبيته في المبحث التالي.⁽²⁾

سورة التوبة

وبعد أن حدثتنا آل عمران عن غزوة أحد، تابعت التوبة التي من أهم موضوعاتها، حديثها عن غزوتي حنين وتبوك، فتناولت غزوة حنين من آية 25-27، بينما امتد حديثها عن غزوة تبوك من آية 35-127؛ حيث شغلت معظم مساحة السورة، وهي آخر غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم -⁽³⁾، وتوسعت في الحديث عن القتال فكيف لا؟! وهي كما أسلفنا حددت العلاقات النهائية بين المسلمين والمشركين، **{ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَاِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ }** [التوبة: 5]، ومع أهل الكتاب **{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }** [التوبة: 29]، وأيضاً المنافقين **{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعِظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أُوْنُهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }** [التوبة: 73]، وبين ذلك وذلك كانت تُرْعَب في الجهاد، وتبين فضيلته، **{ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ }** [التوبة: 20]، **{ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }** [التوبة: 41].

سورة الأحزاب

يتضح من اسم السورة حديثها عن غزوة الأحزاب، وبيننا سابقاً أن هذا من أهم موضوعاتها، وما يتصل بذلك من ثبات المؤمنين وخيانة اليهود - وخاصة بني قريظة - والمنافقين، حيث من الله على المؤمنين بالنصر دون قتال، ورجع المشركون خائبين خاسرين، وانتقم من اليهود الخائنين شر انتقام، **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا }** [الأحزاب: 9]، **{ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26) }** [الأحزاب: 25-26].

(1) يُنظر: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص542-550.

(2) يُنظر: المبحث الثاني، المطلب الثاني: المتشابه اللفظي بين هذه الآيات المستهله بقوله تعالى {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهُ}، آية سورة المائدة، ص25 من هذه الدراسة.

(3) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج3، ص194.

(4) يُنظر: سورة الأحزاب: 9-26.

سورة الحديد

الغرض من السورة، الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله، والإنفاق في سبيله، فبينت أن فضل من أنفق وقاتل قبل الفتح يفوق فضل من أنفق وقاتل بعده، وما يترتب على ذلك من الأجر العظيم، (1) { لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوَا ۗ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ } [الحديد: 10]، وأيضا فضل الشهادة {وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} [الحديد: 19]، ولا بد من ذكر الحديد المرتبط باسم السورة، حيث أنزله الله فيه بأس شديد، والذي فسره بعض العلماء، بأنواع من الأسلحة، ومنافع ينتفعوا بها، ومن ضمن ذلك فوائد يتحصلونها عند لقاء العدو، (2) وهذا مرتبط بموضوع السورة الذي بين فضل الإنفاق، والقتال في سبيل الله .

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد: 25].

سورة الحشر

وآخر سورة معنا تابعت حديث أخواتها (آل عمران، التوبة، الأحزاب) عن الغزوات، ولكن هذه مع قبيلة يهودية، تُدعى " بنو النضير " تسكن المدينة وغدرت بالنبي - صلى الله عليه وسلم-، فحاصره المسلمون، فنصرهم الله دون قتال عام 4هـ (3)، وهذا مرتبط بمحور السورة الذي يدور حول بيان عظمة قدرة الله بأفعاله كما أسلفنا .

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرِجُوهُمْ ۗ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ۗ...} [الحشر: 2]. (4)

ثامنا: المعاملات المالية بدءا من الحث على الإنفاق والصدقة وبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بها

إلى تحريم بعض المعاملات مثل الربا

سورة البقرة

بدأت بذكر أوصاف المتقين التي من ضمنها، { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } [البقرة: 3] فحثت على الإنفاق، ورغبت به { مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۗ أَصْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ ۗ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [البقرة: 245]، { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ } [البقرة: 261]، وأمرت بالإنفاق من الطيبات { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيهِ إِلَّا أَنْ تَعْمِضُوا فِيهِ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } [البقرة: 276]، ولحفظ حقوق العباد في المال قامت بأمرين: أولهما تحريم الربا { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ۗ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [البقرة: 278]، وثانيهما كتابة الدين، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ } [البقرة: 282]، وإن لم يوجد كتابا { وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فُلْيُودِ الَّذِي أَوْثَقْتُمْ أَمْنَتَهُ ۗ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ } [البقرة: 283].

سورة آل عمران

(1) ينظر: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج 9، ص 141-142.

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 22، ص 425.

(3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 6، ص 3581.

(4) ينظر: سورة الحشر: 1-14.

أيضا رَغِبَتْ فِي الْإِنْفَاقِ بِأَسْلُوبٍ يَخْتَلِفُ عَنْ سَابِقَتِهَا، لِأَنَّ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تَنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ ءَعْلِيمٌ { [آل عمران: 92]، وَحَرَمَتْ أَكْلَ الرِّبَا أضعافاً مضاعفة، {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَتَنفِقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: 130].⁽¹⁾

سورة المائدة

تناولت المائدة قضية الإنفاق، والصدقة والقربات إلى الله تعالى، بطريقة مختلفة متميزة، تترك في نفس المسلم الأثر البالغ، وهذا عن طريق قصة ابني آدم، وكيف أن الله تقبل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، وذكر المفسرون أسباباً عديدة لذلك، مثل أن أحدهما تقرب وتصدق بأفضل ما عنده، والآخر على العكس من ذلك تماماً،⁽²⁾ { وَأَتَىٰ عَلَيْهِمُ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [المائدة: 27]، فهذه القصة لها مقاصد، وغايات عديدة من ضمنها التصديق، والتقرب إلى الله بأفضل ما عندنا، ملتزمين طريق التقوى حتى يتقبل الله منا. وأشارت آية أخرى إلى أهمية إيتاء الزكاة، {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ} [المائدة: 55].

سورة التوبة

نذكر أهم ما تناولته السورة في الإنفاق: عدم كنز الذهب والفضة، والحث على الإنفاق في سبيل الله تعالى، {وَالَّذِينَ يَخْتَرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة: 34]، وذكرت مصارف الزكاة الثمانية {إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَىٰ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: 60].

سورة الأحزاب

ذكرت السورة المتصدقين، والمتصدقات من بين أصناف وعدهم الله مغفرة وأجرًا عظيمًا، وهذا يدل على عظيم مكانتهم {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَتَاتِ وَالْقَاتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 35].

سورة الحديد

هذه السورة الكريمة دعت إلى الإنفاق في سبيل الله، ورغبت به كثيرا في عدة مواضع فيها، فامتثالهم لذلك دليل إيمانهم {ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} [الحديد: 7]، و{مَنْ دَا أَلْدَىٰ يُقْرِضْ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ءَوَلَهُ ءَأَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد: 11].

سورة الحشر

ومع آخر سورة من السور الكريمة في دراستنا، تخبرنا بفائدة جوهرية للإنفاق، وهي: {كَمْ لَا يَكُونُ دُولُهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [الحشر: 7]، في باب من أبواب الخير والبر، وهو الفيء الذي هو لله ورسوله وقرباته، يُصرف في مصالح المسلمين عامة، وذكرت الآية أمثلة على ذلك: لليتامى والمساكين وابن السبيل،⁽³⁾ فقال - عز وجل-: { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ء

(1) قال ابن عاشور: هذه الآية نزلت قبل آية البقرة وكانت تمهيدا لتحريم الربا ولمزيد من الفائدة، يُنظر: ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج4، ص

86-85.

(2) يُنظر: ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج6، ص169-170.

(3) السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ص850.

مَنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [الحشر: 7].

وهكذا نلاحظ ترابط هذه الموضوعات ضمن السور التي ذكر فيها قوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}، وتتاسقها فيما بينها مما يظهر وجود ترابط قوي بين هذه السور، وهذه الموضوعات وإن ذكرت في سور أخرى، ولكن من خلال دراستنا للترابط بين آيات الدراسة، سنلاحظ بأنها ضمت أمهات العبادات، وأعمدة أساسية في جوانب حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، وهذا ما سنبينه في المطلب التالي، والمبحث الثاني.

المطلب الثاني: الروابط الموضوعية بين هذه الآيات المستهله بقوله تعالى: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}

من خلال الرجوع إلى آيات الدراسة، وسياقاتها وأقوال المفسرين حولها وأسباب نزولها، نجد أنها خاطبت المؤمنين بمجموعة من الأوامر، مستهله بالأمر بالتقوى وأيضاً منتهية بالأمر ذاته.

نبدأ بآية سورة البقرة التي خاطبت المسلمين بـ {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}، وكان خطابها للذين دخلوا الإسلام حديثاً، وكانوا يتعاملون بالربا، فقالت لهم: {وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا}، وجعلت علامة إيمانهم خضوعهم لأمر الله، {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، فكأنها تخاطبهم "يا من دخل الإسلام، اطرح كل ما يخالف عقيدتك ودينك وإن أثر على منافعك الدنيوية، حتى تحقق الخلافة على الأرض وتعمرها، فهذا دليل على صدق إيمانك"، وبعد إزالة آثار الجاهلية لا بد من تحقيق التقوى، {حَقِّقْ تَقَاتِهِ} على قدر استطاعتك وطاقتك، واجعل هذا حالك في كل لحظة من عمرك، {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} كما أخبرتنا آية آل عمران، وإن سألت كيف السبيل إلى ذلك؟ دلنا آية المائدة {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ}، بالتقرب إلى الله تعالى، بكل الوسائل التي توصلنا إليه، وأهمها الجهاد في سبيل الله، الذي هو ذروة سنام الدين {لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ} (1). و تلبية نداء آية التوبة {وَكُونُوا مَعَ الصَّالِحِينَ}، وكفى بمرتبة الصدق منزلة أنها جاءت بعد مرتبة النبوة، {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا} [سورة النساء: 69]، وفي أثناء ذلك، بل في كل ثانية، نحتاج إلى من يكون معنا، ويصلح لنا أعمالنا إن ضلنا السبيل، ويغفر لنا ذنوبنا، فقالت لنا آية الأحزاب: { وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (71) }، ولا يخفى على أحد أثر القول الصواب الحق في الصلاح، وتحقيق التقوى (2)، ولكن من دلنا إلى الله، وأرشدنا إلى تحقيق تقواه، وهدانا إلى سبيل الوصول إليه؟ غير نبي هذه الأمة، الحبيب المصطفى عليه الصلاة وأتم التسليم، فنادتنا آية الحديد، {وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ}، فعندئذ نجني ثمار هذه التقوى؛ بأن يؤتتنا الله كفلين من رحمته، ويجعل لنا نورا نهتدي به في طريقنا، ويغفر لنا ويرحمنا، ويدفعنا إلى كل ذلك، قوله - تعالى ذكره - في آية الحشر { وَلَتَنْتَظِرُنَّ نَفْسًا مَّا قَدَمَتْ لِعِبَادِ اللَّهِ وَتَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }، فهذا هو المحرك والدافع لنا هو لقاؤنا بالله تعالى، يجعلنا نستعد ونخلص له سبحانه، ونلتزم كل الوسائل المعينة على تحقيق تقواه، لأنه سبحانه خبير بما نعمل لا يخفى عليه شيء.

وسنذكر في المبحث الثاني عند الحديث عن الحكمة من تشابه المطلب، روابط عديدة، وجوهية أخرى بين هذه الآيات.

المبحث الثاني: التناسب الأسلوبي بين الآيات المستهله بقوله تعالى {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}

المطلب الأول: التناسب في القضايا اللغوية بين الآيات التي ورد فيها النداء {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}

١- ورود صيغة الأمر

(1) أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص242.

(2) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص124.

وردت صيغة الأمر في كل آيات دراستنا، وخاصة الأمر بالتقوى ابتداءً، لأنه أصل الامتثال والاجتناب، فلو أمعنا النظر في آية البقرة لوجدنا بعد {اتَّقُوا اللَّهَ} جاء أمر واحد، {وَدُّرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا}، وهذا الأمر جاء بالطريق البرهاني، اتركوا ما بقي من الربا في مقابل {فَلَهُ مَا سَلَفَ} [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: 275]، إن كنتم مؤمنين حقا (1). وأشرنا سابقا إلى سياق الآية، وسبب نزولها، وأيضا سيأتي المزيد من التفصيل في المطلب اللاحق.

وفي آية آل عمران، جاء أمر واحد فقط {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ}، وانفردت هذه الآية بتركيب "حَقَّ تَقَاتِهِ"، هذا الأمر أي اتقوا الله، وبالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع شيئا، والبعض جعل هذه الآية منسوخة بقوله تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [سُورَةُ التَّعَابُثِ: 16]، ولكن ابن عاشور رجح بأنه لا نسخ، والأولى الجمع بين الآيتين فيكون المقصود من الأمر "اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم إلى ذلك سبيلا" (2). لو أعدنا النظر في تركيب "حَقَّ تَقَاتِهِ" وبحثنا في كلمة "تَقَاتِهِ" وجدنا أن فيها وجهان كما بين ذلك السمين الحلبي، وهما:

أ- أنها مصدر، وهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، والأصل اتقوا الله التقاة الحق، كقولك: (ضربت زيدا أشد الضرب)، تريد بذلك ضربا شديدا، فيكون المقصود من التركيب، اتقوا الله اتقاء حقا أي ثابتا وواجبا.

ب- الوجه الآخر أن تكون جمعا، جمع فاعل وإن لم يتصرف، مثل (رامٍ ورماة) أو جمع تقي؛ فإن فاعل وفعل بمنزلة واحدة، فيكون المراد، اتقوا الله كما يحق أن يكون متقوه المختصون به، لذلك أضيفوا إلى الله تعالى.

ولكن السمين الحلبي رجح الأول؛ لأنه أدل على المعنى، وقال إن الثاني مخالف للإجماع (3). وهذا الأمر بأن نتقي الله حق تقاته، قابله نهي، وأيضا انفردت هذه الآية بوجوده {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، وهذا استثناء مُفْرَغ من أعم الأحوال، أي لا تموتن على حال إلا حال تحقيق إسلامكم وثباتكم عليه، وهذا النهي في الصورة عن موتهم، إلا على هذه الحالة، فالمراد دوامهم على الإسلام، حيث إن الموت لا بد منه، وأما سبب توجيه النهي إلى الموت؛ فهو للمبالغة في النهي عن قيده المذكور، مثل قولنا: "لا تصل إلا وأنت خاشع"، فهذا يفيد المبالغة في إيجاب الخشوع في الصلاة، وهذا أبلغ من قولك "لا تترك الخشوع في الصلاة" ...

وقوله {وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، نوع للتحذير لما بعد الموت (4)، وهذا يسمى مجاز تمثيلي علاقته للزوم، فالنهي عن الموت على غير الإسلام، يستلزم النهي عن مفارقة الإسلام في سائر الأحيان، ولو كان المراد معناه الأصلي لكان ترخيص في مفارقة الإسلام، إلا عند حضور الموت، وهو معنى فاسد، فيكون المعنى النهي عن الموت على حالة في الدين إلا على حالة الإسلام، فمحط النهي هو القيد أي المستثنى منه المحذوف، والمستثنى وهو جملة الحال - لأنها استثناء من أحوال-، وهو مستعمل في غير معناه؛ لأنه مستعمل في النهي عن مفارقة الدين بالإسلام مدة الحياة (5)، وآخر ملحظ في النهي التعبير بقوله {وَلَا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}، فهذا أبلغ من قوله (إلا مسلمين)، لأن الجملة الاسمية الحالية أكد و أبلغ في تحقيق المعنى من الحال المفرد، وهكذا لمسنا كيف قابل الأمر بالتقوى حق تقاته، نهي عن الموت إلا على حالة

(1) يُنظر: ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج3، ص93.

(2) يُنظر: *المرجع السابق*، ج4، ص30. ويُنظر كذلك: الزمخشري، *الكشاف*، ج1، ص394.

(3) يُنظر: السمين الحلبي، *الدر المصون*، ج3، ص330-331.

(4) أبو السعود، *إرشاد العقل السليم*، ج2، ص65-66.

(5) ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، ج4، ص30-31.

الإسلام، فيكون توجيه المعنى: الدوام على الإسلام بالتزام أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ أي دوموا على الإسلام، حتى يوافيكم الموت وأنتم عليه. (1)

وأما آية المائدة فذكر فيها بعد الأمر بالتقوى، أمران اثنان، {وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}، {وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ}، لما ذكر من جزاء المحارب وعظم جنايته، ثم مغفرة الله تعالى لمن تاب، أمر المؤمنين بتقواه، ويكون ذلك بترك المعاصي التي من جملتها المحاربة، والفساد، وبفعل الطاعة التي من ضمنها التوبة والاستغفار، وابتغاء كل وسيلة يتوصل بها إلى الطاعات، وعطف عليه بالأمر بالجهاد، بالرغم أنه من الطاعات ويدخل في قوله تعالى: {وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ}، وهذا من عطف الخاص على العام؛ وذلك ليقابل الجهاد المشروع بالقتل المحرم في الإفساد، وتوجيه الطاقات لما فيه من خير وصلاح، ولا يخفى علينا أن الجهاد قاعدة الإسلام لذلك جاء في هذه الآية أمران بعد الأمر بالتقوى. (2) وفاصلة الآية (لعلم تفلحون) وهنا نلاحظ أن هذه الأوامر جاءت معللة، أي رجاء الفلاح على تقدير حصول ما أمر به من التقوى، وابتغاء الوسيلة، والجهاد في سبيله، والفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه، والفوز بالمرجو (3).

وآية التوبة جاء فيها أمر واحد بعد {اتَّقُوا اللَّهَ} وهو {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}، حسن الأمر بالكون مع أهل الصدق، بعد قصة الثلاثة الذين خلفوا حين نفعهم الصدق، وذهب بهم عن منازل المنافقين، وتفيد " مع " الصحبة في الحال والمشاركة في الوصف المقترني للمدح. (4)

والأمر بـ {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} أبلغ في التخلق بالصدق من نحو " اصدقوا " ونظيره في القرآن {وَأَرْكَبُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ} [سُورَةُ النَّحْلِ: 43] (5)؛ لأن التعبير باسم الفاعل (الصادقين)، يفيد الثبات والاستقرار والديمومة، على عكس التعبير بالفعل الذي يدل على الحدوث والتغير.

والآن وصلنا إلى آية الأحزاب، وقوله تعالى: {اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا}، وهنا أيضا أمر واحد بعد الأمر باتقاء الله، حيث أمروا أن يقولوا قولا سديدا، أي قاصدا إلى الحق والقول العدل، والغرض من هذا الأمر نهيم عن ضد هذا القول، وهو القول الذي ليس بسديد، ويدخل فيه ما صدر عنهم في قصة زينب من القول الجائر، وعن كل قول يؤذيه - عليه الصلاة والسلام- (6).

وابن عاشور له كلام جميل في ذلك، حيث قال: إن النداء بالإيمان في آية الأحزاب، تعريض بأن الذي يصدر منه ما يؤذي النبي - صلى الله عليه وسلم - قصدا ليسوا من المؤمنين في باطن الأمر، بل منافقين، والأمر بسداد القول مُشعر بأن ما سيؤمرون به من سديد القول من شعب التقوى (7).

(1) إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنية، ج9، ص247.

(2) يُنظر: الألوسي، روح المعاني، ج3، ص294. ويُنظر كذلك: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص32. وابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص187.

(3) أبو حيان، البحر المحيط، ج4، ص242.

(4) يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص94-95.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، ص54.

(6) الألوسي، روح المعاني، ج11، ص270.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص122-123.

وقال الزمخشري عنها: " هذه الآية مقررة لما قبلها، بُنيت تلك على النهي عما يؤدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (يقصد الآية السابقة) التي نهبت المؤمنين أن لا يكونوا كالذين آذوا موسى عليه السلام، آية [69] وهذه على الأمر باتقاء الله في حفظ اللسان؛ ليرتادف عليهم الأمر والنهي".⁽¹⁾

آية الحديد انفردت بالأمر بالإيمان بالرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد الأمر باتقاء الله، ولربما هذا يجعل البعض يتساءل أن نداءهم بالإيمان يدخل فيه ضمنا -الإيمان بالرسول - صلى الله عليه وسلم - فلماذا جاء هذا الأمر؟ ذكر علماءنا أنه يجوز أن يكون خطابا للمؤمنين وأهل الكتاب؛ والأصل أن يكون لأمة الإسلام، فيكون مستعملا استعماله اللقبى أي كالعلم بالغلبة على مؤمني ملة الإسلام، فيكون الأمر {وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ} في الدوام على الإيمان، ويجوز أن يستخدم استخدامه اللغوي الأعم؛ أي من حصل منه إيمان فيكون لمن آمن بعبسى، أو من آمن بموسى وعبسى على اختلاف في أقوال المفسرين، فإذا كان الخطاب لهم فيكون تقديره (بأيها الذين آمنوا بموسى وعبسى - عليهما الصلاة والسلام- آمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم).⁽²⁾

وآية الحشر تضمنت أمرا واحدا جاء بين أمرين بالتقوى، {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} وهذه الجملة عطف أمر على أمر آخر، فهي معترضة بين جملة {اتَّقُوا اللَّهَ} الأولى و {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، وهنا جاء الأمر بالإعداد للأخرة بعد أن من الله على المؤمنين بتأييده، وفتح قرى بني النضير دون قتال، وفيض نعمه عليهم، فكان هذا من منافع الدنيا، أعقبه بأن ذكرهم بمنافع الآخرة بالإعداد لها، لعنا نقف مع بعض الكلمات التي وردت في قوله: {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}، ذكر (نفس) إظهار في مقام إضمار لأن مقتضى الظاهر: وانظروا ما قدمتم، فعدل عن الإظهار لقصد العموم الذي يفيد لتتظروا، ولتتظر كل نفس. وأما عن تكبيرها؛ فلأنه يفيد العموم، لأن الأمر والدعاء ونحوهما، مثل الشرط، تكون النكرة في سياقها مثل ما هي في سياق النفي في إفادتها للعموم، وكلمة (غد) أي اليوم الآخر كأن الدنيا اليوم، ويوم الآخرة الغد، وهذا مجاز لتقريب الزمن المستقبل، وتكبيرها للتحويل والتعظيم.⁽³⁾

وُجِّعَ على تكرار الأمر {اتَّقُوا اللَّهَ}، حيث ذكر السمين الحلبي " كُرِّرَ لتغيير متعلق التَّقْوِيَيْنِ فمتعلق الأولى أداء الفرائض لاقتترانه بالعمل والثانية ترك المعاصي لاقتترانه بالتهديد والوعيد " ⁽⁴⁾. ويقصد - رحمه الله - الأول اقترانه بالعمل لما فيه من استعداد ليوم الآخر من طاعات وغير ذلك، والثانية اقترانها بالتهديد، لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، مما يبعث في النفس الحيطة، والحذر لعلمه وخبرته ورقابته سبحانه، وذكر ابن عاشور أن تكرار { اتَّقُوا اللَّهَ } ليحصل الربط بين التعليل والمعلل إذا وقع فصل بينهما (ولتتظر نفس)، وإنما أعيد بطريقة العطف لزيادة التوكيد، فالتوكيد اللفظي أحيانا يؤتى به معطوفا مثل { أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ } {سُورَةُ الْقِيَامَةِ: 34}، وذلك أن العطف إيهام بجعل التوكيد كتأسيس لزيادة الاهتمام بالمؤكدة، فجملة {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} تعليل للحث على التقوى، وذكر رأيا آخر بأن المراد من {اتَّقُوا اللَّهَ} الأولى الخوف من الله الباعثة على العمل، لذلك أتبعه بقوله: (ولتتظر نفس) و {اتَّقُوا اللَّهَ} الثانية المراد منها الدوام على التقوى الأولى، لذلك قال تعالى ذكره: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} بمقدار اجتهادكم في التقوى ⁽⁵⁾، وكلا الوجهين قريبان، ويحثان على دوام التقوى والاستعداد للأخرة، والشعور بمراقبة الله تعالى.

(1) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص564.

(2) يُنظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص482. ويُنظر كذلك: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص427.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص110-111، بتصرف.

(4) السمين الحلبي، الدر المصون، ج10، ص292.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص112، بتصرف.

٢- استخدام أسلوب الشرط

استخدم أسلوب الشرط في ثلاث آيات من آيات الدراسة: (البقرة، الأحزاب، الحديد): أولها في آية سورة البقرة كانت فاصلتها { **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** } فهذا شرط، وجوابه محذوف عند الجمهور، ثقة لما قبله، أي إن كنتم مؤمنين فاتقوا وذروا (1)، وقيل المراد بالشرط الاستدامة يُراد به الكمال، كأن الإيمان لا يتكامل إذا أصر الإنسان على كبيرة (2)، وذكر ابن عطية كأن شرط الإيمان ترك الربا، فهو شرط مجازي على جهة المبالغة، كما تقول لمن تريد إقامة نفسه: إن كنت رجلاً فافعل كذا (3)، ولسائل أن يسأل هل هناك تنافٍ بين نداءهم بـ { **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا** } وفاصلة الآية { **إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** }؟ بالحقيقة لا تتنافى فهي شرط لكمال الإيمان كما أسلفنا، وأيضاً يكون المقصود: (يا أيها الذين آمنوا بأفواهكم) إن كنتم مؤمنين بقلوبكم أطيعوا ربكم، فما يدل على تصديق قلوبكم امتثال ما أمرتم به. (4)

وأما آية الأحزاب فجاءت على صيغة الشرط، ولكن جوابه جاء في آية تالية له؛ فكان لا بد من العروج إليها وإن كان خارجاً عن آيات الدراسة { **يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)** }، فكان فعل الشرط، { **اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤُلُوا قَوْلًا سَدِيدًا** } وجوابه { **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** }، نلاحظ أن لما للتقوى والقول السديد من وسائل الصلاح، جعل للآتي بهما جزءاً بإصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب، وهو نشر على عكس اللف؛ فإصلاح الأعمال جزء على القول السديد؛ لأن أكثر ما يفيد القول السديد إرشاد الناس إلى الصلاح، وغفران الذنوب جزء على التقوى؛ لأن قاعدة التقوى اجتناب الكبائر ومن يجتنبها يُكْفِرَ اللهُ عنه الصغائر، وجملة { **وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** } عطف على سابقتها، أي وتفوزوا فوزاً عظيماً إذا أطعتم الله بالالتزام أمره، وفائدة الاتيان بصيغة الشرط وجوابه حسب سياق الآية، إفادة العموم في المطيعين وأنواع الطاعات؛ فصارت الجملة بهذين العمومين في قوة التذييل، أكسب الكلام نظماً بديعاً في إفادة غرضين بجملة واحدة. (5)

آية سورة الحديد

{ **وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ** }... { **رَبِّبْ عَلَى الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ - صلى الله عليه وسلم -** (وهذا فعل الشرط) ما هو جواب شرط محذوف، وهو جملة { **يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ** } المجزوم في جواب الأمر، تقديره: يؤتكم جزءاً في الآخرة كفلين من رحمته، ويغفر لكم، وجزءاً في الدنيا بأن يجعل لكم نوراً تمشون به - مجازاً بالتوفيق للعمل في الدنيا، وحقيقة في الآخرة بسبب العمل - (6).

ونقف مع بعض الألفاظ والتراكيب، مثل لفظ (كفلين) وتعني ضعفين وهي من لغة الحبشة، والكفل: الحظ الذي فيه الكفاية كأنه تكفل بأمره أي كفلين من نعمته في الدنيا والآخرة، واستعملت بمعنى مضاف في قوله تعالى: { **وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا** } [سورة النساء: 85] (7)، وأيضاً ننظر في قوله: { **وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ** } فيها

(1) الألويسي، روح المعاني، ج2، ص52. السمين الحلبي، الدر المصون، ج2، ص639.

(2) أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص712.

(3) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص374.

(4) القونوي، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، ج5، ص468.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص123-124، بتصرف.

(6) المرجع السابق، ج27، ص428، بتصرف.

(7) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص717-718.

استعارة حيث إن فيها تمثيل لحالة القوم الطالبين تحصيل رضا الله تعالى، والفوز بالنعيم، الخائفين من الوقوع في المعاصي، يقوم يمشون في طريق ليل يخشون الخطأ، فيعطون نورا يتبصرون بالثنايا فيأمنون الضلال.⁽¹⁾
المطلب الثاني: المتشابه اللفظي بين هذه الآيات المستهله بقوله تعالى {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آتْفُوا آلَهُ}
سنناول دراسة المتشابه اللفظي في آياتنا، حيث نلاحظ اتفاق مطلعها، واختلاف وسطها وفاصلتها، فلا بد أولاً من دراسة الحكمة من تشابه المطلع، وبعد ذلك الحكمة من اختلاف وسط، وفاصلة كل آية على حدة:

أولاً: الحكمة من تشابه المطلع {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آتْفُوا آلَهُ}

النداءات تُشكل تربية عملية للإنسان، والنداء للمؤمنين بصفة الإيمان، تذكير لهم بأن يعملوا بمقتضى هذا الإيمان، وقوامه التصديق الباطن بالله تعالى، والتزام أوامره واجتناب نواهيه، والأمر بالتقوى هي تقدير العظمة الإلهية، وامتلأ النفس بها امتلاءً يدفع المؤمن إلى المسارعة، وشدة الحرص على تحقيق أوامر الله وتشريعاته، والتقوى تدفع المؤمن إلى إنعام النظر، وقوة التفكير في ملكوت السماوات والأرض؛ لمعرفة أسرار الله في كونه وسننه، وهي الباعث على امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهي المحققة للإحسان في طاعة الله ورسول، فهي المبتدأ والمنتهى، وهي الأولى والآخرة،⁽²⁾ تظهر الصلة بين الآيات في اتفاقها جميعاً، بالأمر بالتقوى في مطلعها، عبر النظر في سياقاتها، حيث إنها جميعها :-

١- تضمنت قبلها أمراً عظيماً، حذرت منه أو عقوبات، ثم أتبع ذلك الأمر باتقاء الله، ثم أوامر أخرى على صورة وعظ وتذكير منسجمة مع السياق، فما هي آية سورة البقرة سبقها تحريم الربا، والتحذير منه بشدة، وآية سورة آل عمران سبقها التحذير من مولاة أهل الكتاب. وآية سورة المائدة، سبقها حد الحرابة والتحذير من الإفساد في الأرض، وآية الأحزاب سبقها التحذير من إيذاء الرسول - صلى الله عليه وسلم-، وهكذا.

٢- الموضوعات التي تناولتها الآيات تعتبر أصولاً عظيمة في ديننا، وأعمدة أساسية في بناء المجتمع:

* آية سورة البقرة أصل عظيم في أحكام الكفار، إذا أسلموا فيما مضى من أعمالهم، فيما يتعلق بتعاملهم خاصة في الربا،⁽³⁾ وتحريم الربا له أثر جوهري في النمو الاقتصادي، والتكافل الاجتماعي بين المسلمين.

* آية آل عمران أصل عظيم في أصل من أصول الأخلاق الإسلامية.⁽⁴⁾

* الجهاد الذي ذكر في آية المائدة ذروة سنام الإسلام، وقاعدته.

* كفى بالأمر بالصدق في آية التوبة شرفاً أن مرتبة الصدق جاءت بعد مرتبة النبوة.⁽⁵⁾

* آية الأحزاب تضمنت الأمر بالقول السديد عامة، وحسب سياق الآيات فيما يخص نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وعدم إيذائه؛ لمكانته العظيمة التي لا تخفى على أحد.

* آية سورة الحديد فيها الأمر بالإيمان بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وهذا الركن الثاني من أركان الإيمان ولا يصح إيمان العبد إلا به.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص429.

(2) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج2، ص213.

(3) البقاعي، نظم الدرر، ج4، ص139.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص30.

(5) أبو حيان، البحر المحيط، ج5، ص521.

* آية سورة الحشر تضمنت تكرار الأمر بالتقوى التي تحقيقها في القلب، إذ هي المقصود الأعظم من العبادات امتثالاً واجتتاباً.

ومع اتفاق مطلع هذه الآيات، نلاحظ اختلاف باقي نظمها، وفاصلتها، ونبدأ بآية سورة البقرة.

ثانياً: الحكمة من اختلاف وسط الآية وفاصلتها.

أ- آية سورة البقرة {وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: 278].

هذه الآية الكريمة في سورة البقرة، التي يدور محورها حول الخلافة في الأرض، ومقوماتها وأهلها، وكيف استحققتها الأمة المسلمة، وسُحبت من بني إسرائيل؛ بظلمهم أنفسهم، ونقضهم للعهود، ومخالفتهم لأوامر الله ورسوله، (1) ومن أهم مقاصد السورة: عرض شرائع هذا الدين، وذكر الوازع الديني على ملازمة هذه الشرائع، والعصمة من مخالفتها، والتحذير من ذلك (2)، ولا يوجد مخالفة لأمر الله تعالى، مثل الوقوع في الربا، فجاءت في سياق آيات تحدثت عن الربا، الذي يُربي في النفس الشح بالإففاق؛ لأنه ظاهرياً يزيد في المال، والإففاق ينقصه، فقبح حال الذين يأكلون الربا، وهددهم أقوى تهديد، وذكر أنه يحق الربا، ويُرَبِّي الصدقات، والذي يأكل الربا كقار أثيم، وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الإففاق وغيره، لهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثم أمر الذين يتعاطون الربا قبل تحريمه، أن يتركوا ما بقي منه، وأذنهم بحريه إن لم يفعلوا ما أمرهم به، وإذا تابوا فلهم رؤوس أموالهم، وجعل ذلك دلالة على إيمانهم، {إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (3)، وبذلك لمسنا الارتباط الكبير بين الآية محورها، ومقاصدها، حيث إن من أبرز مقاصدها تكليف المسلمين بجملة من التشريعات، من ضمنها الصدقة، فكما أمر بالصدقة، نهى عن الربا، فالصدقة طهارة، والربا شح، ولا يكون حفظ المال إلا بتحريم الربا. (4)

ب - آية سورة آل عمران (سورة التوحيد) 5 {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ - وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102]

سنبحث عن سبب تفرد هذه الآية من بين الآيات بالأمر باتقاء الله "حَقَّ تَقَاتِهِ"، وأيضاً اختلاف فاصلتها عن باقي الآيات، بعد معرفتنا عن سبب الأمر بترك الربا في سورة البقرة، الذي ناسب الموضوع والموضوع من السورة الكريمة. فلو أمعنا النظر في محور السورة العام مع آياتنا لوجدنا كل الانسجام، فمحورها يدور حول إثبات وحدانية الله تعالى، وإقامة الأدلة على ذلك نقلاً وعقلاً، وأهمية طاعة الله ورسوله، وتقدير كون عيسى عليه السلام، عبداً لله ورسوله، والإشهاد الذي تكرر في السورة في أكثر من موضع، {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ...} [سورة آل عمران: 18] (6)، وأضف إلى ذلك الحديث عن الصراع بين العقيدة الإسلامية، والعقائد المنحرفة في الجزيرة، وبينت معنى الدين والإسلام، {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ} [آل عمران: 19]، والتحذير من ولاية غير المؤمنين، {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: 28]، وموقف أهل الكتاب المنحرفين عن كتابهم من الجماعة المسلمة، والعقيدة الصحيحة (7)، وأسباب انصراف الناس عن الحق (8).

(1) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص33.

(2) دراز، النبأ العظيم، ص204.

(3) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج1، ص68، بتصريف.

(4) يُنظر: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص375-387 باختصار.

(5) وردت هذه التسمية عند صاحب العزف على أنوار الذكر، يُنظر: محمود توفيق سعد، العزف على أنوار الذكر، ص47.

(6) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص407، بتصريف. يُنظر: محمود البستاني، التفسير البنائي، ج1، ص150-151.

(7) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص357-359.

(8) يُنظر: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج2، ص8-10.

فبعد أن بيّنت السورة حقيقة الألوهية، والتوحيد، وأقامت الأدلة على ذلك، وبيّنت الحق وسبب انصراف الناس عنه، توجهت إلى جماعة المسلمين، الذين جمعهم الحق، وتكونوا على أساس الرحمة، وحذرتهم من طاعة فريق من أهل الكتاب، { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَزُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ } [آل عمران: 100] حتى يظلوا إخوة، ودعتهم إلى تقوى الله حق تقاته؛ فهو الواحد سبحانه، التي أقامت السورة الأدلة على ذلك، ولم يأمر سبحانه باتقائه "حق التقوى" إلا في هذه السورة، ولو تأملنا في إحدى أوجه معانيها، التي ذكرها الرازي: " اتقوا الله حق تقاته: أي كما يحق أن يُتقى، وذلك أن يجتنب جميع معاصيه" (1)، ومن أعظم المعاصي الإشارك بالله تعالى، وهذه الآية جاءت بعد التحذير من طاعة أهل الكتاب، وبالأخص النصارى الذين يقولون عيسى ابن الله -حاشاه سبحانه -؛ لأن في طاعتهم خروج عن الدين، كما بيّنت الآية { يَزُدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ }، وهذا يجعلنا ندرك خصوصية هذه السورة، التي يدور محورها حول إثبات وحدانية الله تعالى؛ فهي السورة الوحيدة التي ذُكرت فيها شهادة التوحيد صراحة خمس مرات، (2) وايضا السورة الوحيدة التي فصلت بين الحروف المقطعة (3) في فاتحتها، والحديث عن القرآن بالتوحيد، لذلك أمر سبحانه بتقواه حق التقوى، ويؤيد ذلك ما نُقل عن أبي الحسن الشاذلي، كما ذُكر في نظم الدرر، أن هذه الآية في أصل الدين، وهو التوحيد (4)، ثم جاءت فاصلة الآية بقوله تعالى: { وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } أي دوموا واثبتوا على هذا الدين حتى تلقوا ربكم، ولكن لماذا جاء هذا الأمر هنا تحديدا بعدم الموت إلا على الإسلام؟ لا يغيب عنا أن هذه السورة أكثر السور تكرارا للفظ الإسلام والمسلمين، والفعل "أسلم" ففيها قوله { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ } [آل عمران: 19] و { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } [آل عمران: 85]، وغيرها الكثير، (5) لذلك جاء هذا الأمر، وأيضا حتى تتال الأمة هذه الخيرية المشروطة بالإيمان، { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: 110]، وأكد ذلك بدعوتهم إلى الاعتصام بدين الله تعالى، وهكذا نلاحظ مركزية هذه الآية، وأهميتها في محور السورة العام، التي صبّ في أهم مقاصدها في الاستقامة على التوحيد، الذي هو أساس الإيمان بالله وحده، والدوام والثبات على الإسلام، والتحذير من ولاية غير المؤمنين وطاعتهم (6).

ج - آية سورة المائدة {وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 35].

الهدف الذي جاءت السورة لتحقيقه إنشاء أمة على أساس من عقيدة خاصة، وتصور معين وبناء جديد، الأصل فيه أفراد الله - عز وجل - بالألوهية، ونفي كل شريك أو تثليث (7)، والتشريعات المختلفة المستمدة من أمره سبحانه بما فيها من

(1) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج8، ص 310.

(2) آل عمران: 2، 6، ومرتان في 18، 62. مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص409.

(3) معظم السور التي بدأت بالأحرف المقطعة يأتي الحديث بعدها مباشرة بالانتصار للقرآن الكريم، إلا آل عمران، يُنظر: المصدر السابق، ج1، ص407-408.

(4) البقاعي، نظم الدرر، ج5، ص15.

(5) يُنظر: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص411.

(6) المرجع السابق، ج1، ص506، بتصرف.

(7) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص825.

أحكام وفرائض، وعقوبات وحدود⁽¹⁾، وجاءت آيتنا بعد آيات تحدثت عن قصتين محوريتين : قصة موسى - عليه السلام - مع بني إسرائيل وعصيانهم لأمر الله بدخول الأرض المقدسة، وقولهم لنبيهم {فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة: 24]، وقصة ابني آدم اللذين قريا قريانا، فتقبل من أحدهما؛ لإخلاصه وحسن اعتقاده، ولم يتقبل من الآخر لأنه سبحانه قال: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: 27]، فقتل الذي لم يتقبل منه أخاه حقدا وحسدا⁽²⁾، ثم بعد ذلك جاءت آيات تحذر من قتل النفس بغير نفس، أو فساد في الأرض، { أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة: 32] ثم ذكرت بيان الفساد الذي يوجب القتلن وهو الحرابة وأحكامها المختلفة، { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا .. } [المائدة: 33] وبعدها فتح باب التوبة، {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَّحِيمٌ} (٣٤)، ثم جاء الأمر للمؤمنين بتقواه، فهذا يتطلب تنمية مخافة الله تعالى في القلوب، حتى يصلوا إلى مرضاته بابتغاء مختلف الوسائل التي توصل إليه، وأحبها له الفرائض لذلك قال: {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} والوسيلة كالقربة⁽³⁾ وكان هذا الأمر يوجهنا إلى أن ننقي الله في قرباتنا إليه، وخاصة بعد ذكر قصة ابني آدم. وبما أن الآيات السابقة تحدثت عن القتل المذموم أتبعها ذكر أمر بعبادة فيها قتل مشروع بل يُحمد فاعله عاجلا وأجلا، {وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} وأضف إلى ذلك أن الأمر بالجهاد جاء في هذه الآية الكريمة تحديدا بعد ذكر تخاذل بني إسرائيل، وعصيانهم لنبيهم وعدم جهادهم؛ فكتب عليهم التيه، وجاء هنا أمر المؤمنين بالجهاد لتحقيق الفلاح.

وهذا أسلوب وعادة القرآن بعد التهيب والتحذير من قتل النفس بغير نفس، أو فساد في الأرض، رغب بالتوبة الصادقة التي يثبتها تقوى الله والعمل الصالح،⁽⁴⁾ وهكذا علمنا لماذا اختصت، واختلفت هذه الآية في أوامرها عن آيات الدراسة الأخرى بما يتناسب مع سياقها ومحورها.

د - آية سورة التوبة {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119].

لماذا اختصت هذه الآية بهذه الفاصلة، التي تضمنت أمرا واحدا بعد الأمر بالتقوى من بين آياتنا؟

سورة التوبة من أواخر ما نزل، وكما ذكرنا سابقا أنها تضمنت أحكاما نهائية في العلاقات بين الأمة المسلمة وغيرها من الأمم، وأيضا تصنيف المجتمع الإسلامي ذاته وتحديد قيمه ومقاماته، وتحدثت بصورة مطولة عن المنافقين - أكثر من نصفها -، وكشفت أسرارهم وفتنهم من خلال عرضها لغزوة تبوك، { وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنكُمْ } [التوبة: 56]، {يَحْذَرُ الْمُتَّقُونَ أَنْ تُنزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخْرِضُوا اللَّهَ مَخْرَجٌ مَّا تَحْذَرُونَ} [التوبة: 64].⁽⁵⁾

(1) مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 2، ص 289، بتصرف.

(2) يُنظر: المصدر السابق، ج 2، ص 317-318.

(3) يُنظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 871.

(4) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 187. ويُنظر كذلك: أبو حيان، البحر المحيط، ج 4، ص 242.

(5) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 3، ص 1565-1578. ويُنظر: جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج 3، ص 237-238.

سيظهر ارتباط آيتنا بمحورها، وسبب اختلاف فاصلتها عن غيرها، بالذهاب إلى سياق الآيات التي وردت فيها، حيث تحدثت عن غزوة تبوك، وانقسام الناس إلى ثلاثة أصناف: صنف اتقوا الله فصدقوا وخرجوا مع- رسول الله صلى الله عليه وسلم -، وصنف قدموا أعدارهم ولم يكونوا صادقين وتخلفوا عن رسول الله، وصنف تخلفوا ولم يذكروا عذرا وصدقوا في ذلك وهم ثلاثة - كعب بن مالك ، مرارة بن الربيع، هلال بن أمية - ، -رضي الله عنهم-، فلما كان سبب توبة الله عليهم صدقهم؛ أمر الله المؤمنين بتقواه، وبأن يكونوا في زمرة الصادقين فالذي أنجاهم صدقهم، فهذه الآية كالتنزيل للقصة، التي أكدت أن سبب النجاة الوحيد هو الصدق، الذي يضاده الكذب الذي هو سمة المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقدموا الأعدار، وحلفوا كذبا وزورا على ذلك، وأعتقد الآن لا يخفى على أحد لماذا قال- تعالى اسمه -{وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} ؟ ! (1)

ه - آية سورة الأحزاب {وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: 70].

سورة الأحزاب لها مقصودان رئيسان، وآيتنا لها ارتباط وثيق بكليهما، بحيث تبين سبب اختلاف فاصلة هذه الآية عن مثيلاتها، وبالعودة إلى سياقها نذكر ذلك؛ فسورة الأحزاب تحورت حول مكانة النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومقامه الرفيع حيث شُرِّفت هذه السورة بخمس نداءات للنبي الكريم، بصفته هادي هذه الأمة، وقائدها، فافتتحت بأمره عليه الصلاة والسلام بتقوى الله، وُخِّتت بأمر المؤمنين بتقواه سبحانه، وتضمنت صلاة الله تعالى، وملائكته على نبينا الكريم و أمر المؤمنين بالصلاة عليه، { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [الأحزاب: 56]، والنهي عن إيذائه، (2) والمقصد الآخر يدور حول حياة الجماعة المسلمة، حيث صورت السورة هذه الفترة تصويرا واقعيًا مباشرًا، فهي غنية بالوقائع التاريخية، وما أعقبها من أصول شرعية، وقواعد أساسية للمجتمع والدولة ، سواء بيان أصولها من عقيدة، وتشريع أو إبطال تقاليد جاهلية مخالفة للشرع (3)، ومنها ما ذكرته السورة بدايةً من تحريم التبني، { أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَأَبَاءَهُمْ فَاخَوْهُمْ فَاخَوْكُمْ فِي الَّذِينَ وَمَوْ لِيكُمْ } [الأحزاب: 5]، والذي تم من خلال تطبيق الحكم عمليًا، وذلك لأن زيد بن حارثة- رضي الله عنه - (ابن النبي - صلى الله عليه وسلم - بالتبني قبل التحريم) كان متزوجًا من السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - لفترة من الزمن، ثم طلقها، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بالزواج منها، { فَلَمَّا فَصَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًّا رَوَّجْنَاهَا وَلَيْ لَّا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } [الأحزاب: 37]، وكان معروفًا بالجاهلية عند العرب حرمة مطلقة الابن بالتبني، كحرمة مطلقة الابن من النسب (4)، وبما أن ذلك جاء مخالفًا لما عهدته العرب، انطلقت أسنة كثيرة من المنافقين، ومرضى القلوب يروجون الشائعات، وربما بعض المؤمنين يقع في حبالهم، ويسايرونهم فجاء القرآن يحذرهم من إيذاء النبي - صلى الله عليه وسلم - ابتداءً { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا } [الأحزاب: 57]، ثم عدم التشبه ببني إسرائيل الذين آذوا موسى عليه السلام، (5) { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11، ص54، بتصرف.

(2) يُنظر: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5، ص160.

(3) يُنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2817-2818.

(4) المرجع السابق، ج5، ص2864.

(5) يُنظر: المرجع السابق، ج5، ص2883-2884.

ءَامَنُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ ءَلَّهُ مِمَّا قَالُوا ۗ} [الأحزاب: 69]، فجاءت آيتنا بعدها مباشرة تأمرهم بتقوى الله وبسداد القول {ءَاتُوا ءَلَّهُ وَفُؤُوا قَوْلًا سَدِيدًا}، وما أروعها من تعبير! فهو يشمل الأقوال الواجبة والصالحة والصواب والحق، وكأن هذه الآيات تخاطب المؤمنين، بأن إذا أردتم أن يصلح الله أعمالكم، ويغفر ذنوبكم، عليكم بعد تقواه أن تحفظوا مقام نبيكم، ولا تؤذوه كما فعل بنو إسرائيل، وختام ذلك تؤكد أهمية طاعة الرسول، وأنها فرع عن طاعة الله تعالى، وإثبات الفوز الممثل لأمره والمنتهي عن نواهيها، {وَمَنْ يُطِعِ ءَلَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 71].

وهكذا نجد السورة بأمر المؤمنين بالقول السديد، وعدم إيذاء النبي جاءت منسجمة مع مقصد السورة في مقام الرسول العظيم، ومكانته عليه الصلاة والسلام، وملتزمة مع المقصد الثاني في الاستجابة لأمر الله تعالى فيما شرع من أحكام تنظم أمور المسلمين، ومن ذلك إبطال تقاليد جاهلية مثل: التبني وتحريمه، ويظهر لنا جلياً لماذا جاءت فاصلة هذه الآية بهذا الأمر بالتحديد بما ينسجم مع سياقها، ومقصود السورة.

آية سورة الحديد {وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ءُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ءُوَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءُوَيَغْفِرْ لَكُمْ ءُءَلَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الحديد: 28].

هذه الآية تميزت عن باقي الآيات بأمر كثيرة: الأمر بالإيمان بالرسول، ترتيب الأجر العظيمة على ذلك: كفلين من رحمته، يجعل لهم نوراً، مغفرة الذنوب، ثم تأكيد ذلك بجملة اسمية حالية {وَءَلَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، وهذا كله يجعلنا نعلم النظر بالسورة الكريمة ونتدبر فيها حتى نعلم الغاية من ذلك، فمحور السورة يدور حول تحقيق حقيقة الإيمان في القلب، وبناء المجتمع الإسلامي على أساسه، بحيث يجعله رباني الوجهة والنشاط، وقوام ذلك بالإيمان بالله ورسوله، {ءَامِنُوا بِءَلَّهُ وَرَسُولِهِ} [الحشر: 7] وتعرض لدلائل الإيمان، وما ينبثق منها من خشوع، وتقوى، وإخلاص، وتضحية، وتؤكد على وحدة الرسالات السماوية،⁽¹⁾ وما يؤكد أهمية ذلك التعبير بلفظ (آمن)، وما اشتق منه في تضاعيف هذه السورة، نحو أربع عشرة مرة⁽²⁾، وأما آيتنا فهي واسطة العقد من السورة؛ لأن محورها يدور حول الإيمان بالله ورسوله، وأثار ذلك، وآيتنا تؤكد هذا المعنى، بل هي الآية الوحيدة من بين الآيات التي فيها، قوله تعالى: {وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ} كما أسلفنا مع أن النداء جاء بالإيمان، {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامِنُوا} وهذا متضمن الإيمان برسوله، وذلك ليؤكد لنا أهمية الإيمان بالرسول الكريم، ولعلمائنا أقوال في ذلك، بينها سابقاً في المطلب السابق، ولكن نفضل قليلاً بما يؤيد الرأي، الذي يقول إن النداء يحتمل أن يكون للمؤمنين، و" لأهل الكتاب أو للنصارى"، وذكر ذلك ابن عاشور، حتى يأخذ النصارى حظهم من الإيمان بالرسول - صلى الله عليه وسلم -، وخاصة أن الآية السابقة تتحدث عنهم، وفاضلتها {فَأَتَيْنَا الَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ} [الحشر: 27]، ويؤكد ذلك حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - " ثلاثة يؤتهم الله أجرهم مرتين: ... ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً، ثم آمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم -...".⁽³⁾ ونربط ما في الحديث بقوله {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ} وأما المؤمنين؛ فالغالب أن يكون الخطاب لهم، فيكون الأمر بدوام الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأجرهم لا يقل

(1) يُنظر: المرجع السابق، ج6، ص3475-3476.

(2) عثمان، النصيرات، 2022م، الأيتان الأخيرتان من سورة الحديد: دراسة تفسيرية مقارنة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، مج: (18) العدد: 1، ص150.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، ج4، ص60، رقم الحديث: (3011).

عن أهل الكتاب؛ لأنهم آمنوا بكل الرسل،⁽¹⁾ ويؤكد ذلك حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، الذي رواه أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه -: " مثل المسلمين واليهود والنصارى، كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا إلى الليل، فعملوا إلى نصف النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك، فاستأجر آخرين، فقال أكملوا بقية يومكم، ولكم الذي شرطت، فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر، قالوا: لك ما علمنا، فاستأجر قوما، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين"⁽²⁾، وبعد أن علمنا سبب ورود الأمر بالإيمان بالرسول، والأجر المترتب على ذلك، "يؤتكم كفلين من رحمته" ويحتمل أن يكون الخطاب لكلا الفريقين أخذًا من الآية، و الأحاديث الصحيحة، نجد كرامة أخرى، وهي أن يجعل الله لهم نورا سواء بالآخرة، وهذا منسجم تماما مع السورة نفسها، التي وعدت المؤمنين بذلك يوم القيامة {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} [الحشر: 12]، أو في الدنيا بالتوفيق للعمل الصالح، وهذا لا يكون إلا بتقوى الله، وطاعة الرسول الكريم، التي مؤداها مغفرة الذنوب، ونيل رحمة الله، فهو الغفور الرحيم. آية سورة الحشر {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: 18].

ومع آخر آية معنا، التي تأخذنا إلى اليوم الآخر، وكفى باسم السورة دلالة على ذلك، ولا يوجد خير من التقوى من زاد لبقائه سبحانه، فلا غرابة من تكرار الأمر بالتقوى في آيتنا، وفي هذه السورة التي تعرّفنا على الله تعالى، من خلال أفعاله وأحكامه وأسمائه وصفاته،⁽³⁾ حيث تدور أحداث هذه السورة حول بني النضير، وخيانتهم للرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكيف تجلت قدرة الله تعالى، وعظيم فعله بإجلالهم، وخروجهم الذي عبرت عنه الآيات بأول الحشر، {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر: 2] إيذانا بحشر آخر، ومن هنا نلتقط أول خيوط علاقة آيتنا بمحور السورة التي ميزها عن غيرها بأمر {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}، بعد أن أمر المؤمنين بتقواه- عز وجل -، وهذه الآية جاءت بعد حديث السورة عن يهود بني النضير، ونقضهم لعهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعن المناقنين، وكذبهم فجاءت كموعظة للمؤمنين لتذكركم بشكر الله، على ما منّ عليهم من فتح دون قتال، بالأمر بتقواه؛ لتتمية خشية الله تعالى في قلوب المؤمنين، وحتى يحاسب كل إنسان نفسه على ما فيها من تقصير؛ لأنه حتما سيلاقى الله تعالى؛ فهذا أمرٌ بالنظر إلى الأعمال وصلاحتها، والتفكر فيها، هل ما قدمنا يليق بجلال من سقّف بين يديه غدا؟!... ثم أتبعه بالأمر بالتقوى مرة أخرى؛ لأن مدار النجاة على تقوى الله تعالى، وأيضا لما كان الأمر الأول بتقواه بمعنى الخشية، والخوف منه سبحانه، جاءت الثانية لأجل مراقبته حياءً من جلالتة وهيبته، وهذا متلائم منسجم مع فاصلة الآية، {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، وهكذا نلاحظ صلة الآية بمحورها، وما تضمنته السورة من تأييد للمؤمنين بالفتح، ومنافع أخرى في

(1) يُنظر: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج8، ص27. ويُنظر كذلك: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص427-428.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل المغرب، ج1، ص116 رقم الحديث: (558).

(3) يُنظر: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج، ص56-57.

الدنيا أعقبه بتذكيرهم بالإعداد للأخرة، (1) {وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} التي جعلتها تتفرد بتكرار الأمر بالتقوى استعدادا لحشر آخر يوم القيامة، وتعظيما لله الخبير سبحانه، {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (2). وهكذا نكون أنهيينا دراسة ما يتعلق بالمتشابه اللفظي لهذه الآيات، سواء بالتركيب المنطق بينها {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ}، أم التركيب المختلف فيما يخص وسطها، وفاصلتها، حيث جاء الاختلاف تبعا لموضع الآية وفق السياق، وموضوع السورة الرئيس.

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة:

1- وجود علاقات موضوعية بين السور التي وردت فيها الآيات المستهله بقوله: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ} حيث إنها كلها مدنية، وأيضا تعتبر هذه السور أكثر السور المدنية ورودا لآيات التقوى بنسبة 76,4%، وأيضا تضمنت توجيهات للمؤمنين، وتشريعات وأحكام وعقوبات، وغير ذلك، حيث أثبتت وجود ترتيب وتناسق مرتب في الموضوعات بين هذه السور.

2- وجود روابط موضوعية بين آيات الدراسة، بحيث تشكل معا وحدة موضوعية، حيث إنها خاطبت المؤمنين بمجموعة من التوجيهات، والوعظ بدءا من دخولهم في الإسلام واتقاء الله، بطرح كل ما يخالف العقيدة والشريعة، من آثار الجاهلية في البقرة، حتى الالتزام بتقوى الله بحسن الاستعداد للقائه سبحانه كما في سورة الحشر، وأيضا التوجيهات التي وردت في الآيات، تشكل أصولا وأعمدة جوهرية، وأساسية في الدين من مختلف النواحي الشرعية، والاقتصادية والاجتماعية، وغير ذلك.

3- وجود قضايا لغوية مشتركة بين هذه الآيات مع وجود بعض التمايز في بعض الأساليب، بما يتسق مع سياق الآية، حيث إن كل الآيات فيها أوامر، وتفرقت آية آل عمران بمقابلة الأمر فيها بنهي واحد، وأما سورة الحديد فتفرقت بالأمر بالإيمان بالرسول، وثلاث آيات فيها أسلوب الشرط (البقرة، الأحزاب، الحديد)، وتفرقت بعض الآيات بتراكيب أو ألفاظ مثل (حق تقاته) في آل عمران، و(كفيلين) في الحديد.

4- أيضا بينت الدراسة سبب اتفاق هذه الآيات في مطلعها، حيث إنها جميعها بدأت بالنداء بصفة الإيمان، حتى يكون من باب التذكير بالعمل بمقتضى هذا الإيمان، وأيضا الأمر بالتقوى التي هي الدافع الأهم في امتثال الأوامر، واجتتاب النواهي، وبينت سبب اختلاف باقي نظم كل آية، التي يعود إلى سياقها، ومقصود السورة، بل إن كل آية من هذه الآيات مرتبطة بمحور سورتها ارتباطا وثيقا، وتكاد تكون واسطة عقدها.

التوصيات:

وفي نهاية الدراسة يوصي الباحثان بما يأتي:

- 1- الاهتمام بدراسة الآيات التي يجمعها روابط وعلاقات، ومواضيع مختلفة على منهجية علمية منضبطة.
- 2- الاهتمام بالدراسات المتعلقة بالمتشابه اللفظي، التي تكشف عن إعجاز القرآن الكريم وعظمته، وفيها أيضا إكمال لمسيرة علمائنا في هذا الباب، مثل دراسة الآيات التي تكرر فيها قوله تعالى: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص110.

(2) يُنظر: البقاعي، نظم الدرر، ج19، ص458-459. ويُنظر كذلك: مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،

والله ولي النفع برحمته وفضله.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

- الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل، 1405هـ، *الموسوعة القرآنية*، (د. ط)، (د. م)، مؤسسة سجل العرب.
- الإسكافي، محمد بن عبد الله، 1422 هـ، *درة التنزيل وغرة التأويل*، تحقيق: محمد آيدين، ط1، المملكة العربية السعودية، معهد البحوث العلمية.
- إسماعيل، محمود بن محمود، 1413هـ، *تصنيف آيات القرآن الكريم*، ط1، المملكة العربية السعودية، دار اللواء.
- الألوسي، محمود بن عبد الله، 1415هـ، *روح المعاني*، ضبطه وصححه: علي عطية، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، 1422هـ، *صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح*، ط1، مصر، لبنان، المطبعة الكبرى الأميرية، دار طوق النجاة.
- البستاني، محمود بن محمد، (د. ت)، *التفسير البنائي*، ط1، إيران، مجمع البحوث الإسلامية.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر، 1404هـ، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، إشراف: محمد عبد المعيد خان، ط1، الهند، دائرة المعارف العثمانية.
- جعفر شرف الدين، 1420هـ، *الموسوعة القرآنية خصائص السور*، تحقيق: عبد العزيز التويجزي، ط1، لبنان، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، 1420هـ، *البحر المحيط في التفسير*، عناية: صدقي العطار، وآخرون، (د. ط)، لبنان، دار الفكر.
- الخصيري، عبد العزيز بن عبد الله، (د. ت)، *الوحدة الموضوعية في السور القرآنية*، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: 149.
- دراز، محمد عبد الله، 1420هـ، *النبأ العظيم*، اعتنى به: عبد الحميد الدخاخي، ط2، المملكة العربية السعودية، دار طيبة.
- الرازي، محمد بن عمر، 1420هـ، *مفاتيح الغيب*، ط3، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، 1433هـ، *مفردات ألفاظ القرآن*، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط5، سوريا، لبنان، دار القلم، الدار الشامية.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، 1415هـ، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط1، لبنان، دار الكتاب العربي.
- الزمرخشي، محمود بن عمر، 1407هـ، *الكشاف*، ضبطه ورتبه: مصطفى حسين أحمد، ط3، لبنان، مصر، دار الكتاب العربي، دار الريان للتراث.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، 1420هـ، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط1، (د. م)، مؤسسة الرسالة.
- سعد، محمود بن توفيق، (د. ت)، *العزف على أنوار النكر*، (د. ط)، (د. م)، (د. ن).
- أبو السعود، محمد بن محمد، (د. ت)، *إرشاد العقل السليم*، (د. ط)، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

- السمن الحلبي، أحمد بن يوسف، (د. ت)، *الدر المصون*، تحقيق: أحمد الخراط، (د. ط)، سوريا، دار القلم.
سيد قطب، 1417هـ، *في ظلال القرآن*، ط25، مصر، دار الشروق.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، 1394هـ، *الإتيان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل، (د. ط)،
مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الطبري، محمد بن جرير، 1422هـ، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، مصر،
دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
الطراونة، فواز فارس، 2015م، *رسالة ماجستير محكمة بعنوان: "النداء بـ"يا أيها الذين آمنوا" في القرآن الكريم:
دراسة تفسيرية"*، جامعة مؤتة. الكرك: الأردن.
ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، 1404هـ، *التحرير والتنوير*، (د. ط)، تونس، الدار التونسية للنشر.
عرمان، لينة بنت أحمد، 2022م، *الآيتان الأخيرتان من سورة الحديد: دراسة تفسيرية مقارنة*، المجلة الأردنية في
الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت. المفرق: الأردن. مج (18)، ع (1).
ابن عطية، عبد الحق بن غالب، 1422هـ، *المحرر الوجيز*، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، لبنان،
دار الكتب العلمية.
القونوي، إسماعيل بن محمد، 1422هـ، *حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي*، ضبط وصحح: عبد الله
محمود محمد عمر، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية.
محمد طاهر، 1418هـ، *سمط الدرر في ربط الآيات والسور*، (د. ط)، باكستان، المكتبة اليمانية جامعة الإمام
محمد طاهر، المطبعة العربية.
مصطفى مسلم، وآخرون، 1431هـ، *التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم*، ط1، الإمارات العربية المتحدة، كلية
الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة.
مغاربة محمد صدقي محمد، 2000م، *رسالة ماجستير محكمة بعنوان: "يا أيها الذين آمنوا: دراسة في التفسير
الموضوعي للقرآن الكريم"*، جامعة آل البيت. المفرق: الأردن.

ثانياً: قائمة المراجع المرومنة:

- al-Abyārī, Ibrāhīm ibn Ismā‘īl, 1405AH, *al-Mawsū‘ah al-Qur’ānīyah*, (in Arabic), (D. T), Mu‘assasat sijill al-‘Arab.
al-Alūsī, Maḥmūd ibn ‘Abd Allāh, 1415AH, *Rūḥ al-ma‘ānī*, (in Arabic), ḍabaṭahu wa-ṣaḥḥaḥahu: ‘Alī ‘Aṭīyah, First edition, Lubnān, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.
‘Armān, Līnah bint Aḥmad, 2022AD, *al’āytān al’khyrtān min Sūrat al-Ḥadīd : dirāsah tfsyryyh muqāranah*, (in Arabic), al-Majallah al’rdnyyh fī al-Dirāsāt al’slāmyyh, Jāmi‘at Āl al-Bayt. al-Mafraq: al-Urdun. Majj (18), ‘A (1)..(1)
Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad, 1404AH, *al-Tahrīr wa-al-tanwīr*, (in Arabic), (D. T), Tūnis, al-Dār al-Tūnisīyah lil-Nashr.
Ibn ‘Aṭīyah, ‘Abd al-Ḥaqq ibn Ghālib, 1422AH, *al-muḥarrir al-Wajīz*, (in Arabic), taḥqīq: ‘Abd al-Salām ‘Abd al-Shāfi Muḥammad, First edition, Lubnān, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah.

al-Biqā'ī, Ibrāhīm ibn 'Umar, 1404AH, *naẓm al-Durar fī tanāsub al-āyāt wa-al-suwar*, (in Arabic), ishrāf: Muḥammad 'Abd al-mu'īd Khān, First edition, al-Hind, Dār 'irat al-Ma'ārīf al-thmānyyih.

al-Bustānī, Maḥmūd ibn Muḥammad, (D. t), *al-tafsīr al-binā'ī*, (in Arabic), First edition, Irān, Majma' al-Buḥūth al-Islāmīyah

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl, 1422AH, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī al-Jāmi' al-Musnad al-ṣaḥīḥ*, (in Arabic), First edition, Miṣr, Lubnān, al-Maṭba'ah al-Kubrā al-Amīriyah, Dār Ṭawq al-najāh.

Darāz, Muḥammad 'Abd Allāh, 1420AH, *al-Naba' al-'Aẓīm*, (in Arabic), i'tanā bi-hi: 'Abd al-Ḥamīd alddkhākhy, Second edition, al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah, Dār Ṭaybah.

. Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf, 1420AH, *al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr*, (in Arabic), 'Ināyat: Ṣidqī al-'Aṭṭār, wa-ākharūn, (D. Ṭ), Lubnān, Dār al-Fikr.

al-Iskāfī, Muḥammad ibn 'Abd Allāh, 1422 AH, *Durrat al-tanzīl wa-ghurrat al-ta'wīl*, (in Arabic), taḥqīq : Muḥammad Āyḍīn, First edition, al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah, Ma'had al-Buḥūth al-'Ilmīyah

Ismā'īl, Maḥmūd ibn Maḥmūd, 1413AH, *taṣnīf āyāt al-Qur'ān al-Karīm*, (in Arabic), First edition, al-Mamlakah al-'Arabīyah al-Sa'ūdīyah, Dār al-Liwā'.

Ja'far Sharaf al-Dīn, 1420AH, *al-Mawsū'ah al-Qur'āniyah Khaṣā'is al-suwar*, (in Arabic), taḥqīq: 'Abd al-'Azīz altwyzy, First edition, Lubnān, Dār al-Taqrīb bayna al-madhāhib al-Islāmīyah

al-Khuḍayrī, 'Abd al-'Azīz ibn 'Abd Allāh, (D. t), *al-Waḥdah almwḍw'yyh fī al-suwar al-Qur'āniyah*, (in Arabic), Majallat al-Jāmi'ah al'slāmyyih, al-'adad : 149

Maghāribah Muḥammad Ṣidqī Muḥammad, 2000AD, Risālat mājistīr Maḥkamat bi-'unwān : *"yā ayyuhā alladhīna āmanū : dirāsah fī al-tafsīr al-mawḍū'ī lil-Qur'ān al-Karīm"*, (in Arabic), Jāmi'at Āl al-Bayt. al-Mafraq: al-Urdun.

Muḥammad Ṭāhir, 1418h, *Simṭ al-Durar fī rabṭ al-āyāt wa-al-suwar*, (in Arabic), (D. Ṭ), Bākistān, al-Maktabah alymānyyih Jāmi'at al-Imām Muḥammad Ṭāhir, al-Maṭba'ah al-'Arabīyah.

Muṣṭafā Muslim, wa-ākharūn, 1431AH, *al-tafsīr al-mawḍū'ī li-suwar al-Qur'ān al-Karīm*, (in Arabic), First edition, al-Imārāt al-'Arabīyah al-Muttaḥidah, Kullīyat al-Dirāsāt al-'Ulyā wa-al-Baḥth al-'Ilmī-jām'h al-Shāriqah.

al-Qūnawī, Ismā'īl ibn Muḥammad, 1422AH, *Hāshiyat al-Qūnawī 'alā tafsīr al-Imām al-Bayḍāwī*, (in Arabic), ḍabṭ wa-ṣaḥḥaḥa: 'Abd Allāh Maḥmūd Muḥammad 'Umar, First edition, Lubnān, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

al-Rāghib al-Aṣfahānī, al-Ḥusayn ibn Muḥammad, 1433AH, *mufradāt alfāz al-Qur'ān*, (in Arabic), taḥqīq: Ṣafwān 'Adnān Dāwūdī, Fifth edition, Sūriyā, Lubnān, Dār al-Qalam, al-Dār al-Shāmīyah.

al-Rāzī, Muḥammad ibn 'Umar, 1420AH, *Mafātīḥ al-ghayb*, (in Arabic), Third edition, Lubnān, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī..

al-Sa'dī, 'Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir, 1420AH, *Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān*, (in Arabic), taḥqīq: 'Abd al-Raḥmān al-Luwayḥiq, First edition, Mu'assasat al-Risālah.

- Abū al-Sa‘ūd, Muḥammad ibn Muḥammad, (D. t), *Irshād al-‘aql al-salīm*, (in Arabic), (D. Ṭ), Lubnān, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī
- Sa‘d, Maḥmūd ibn Tawfīq, (D. t), *al-‘Azf ‘alā Anwār al-dhikr*, (in Arabic), (D. Ṭ)
- al-Samīn al-Ḥalabī, Aḥmad ibn Yūsuf, (D. t), *al-Durr al-maṣūn*, (in Arabic), taḥqīq: Aḥmad al-Kharrāṭ, (D. Ṭ), Sūriyā, Dār al-Qalam..
- Sayyid Quṭb, 1417AH, *ft zilāl al-Qur’ān*, (in Arabic), Twenty-fifth edition, Miṣr, Dār al-Shurūq.
- al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, 1394AH, *al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur’ān*, (in Arabic), taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl, (D. Ṭ), Miṣr, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.
- al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, 1422AH, *Jāmi‘ al-Bayān ‘an Ta’wīl āy al-Qur’ān*, (in Arabic), taḥqīq: ‘Abd Allāh al-Turkī, First edition, Miṣr, Dār Hajar lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.
- al-Ṭarāwinah, Fawwāz Fāris, 2015AD, Risālat mājistīr Maḥkamat bi-‘unwān: "*al-nidā’ bi’ yā ayyuhā alladhīna āmanū "fī al-Qur’ān al-Karīm : dirāsah tafsīriyah"*", (in Arabic), Jāmi‘at Mu’tah. al-Karak : al-Urdun.
- al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn ‘Umar, 1407AH, *al-Kashshāf*, ḍabaṭahu wa-rattabahu : Muṣṭafā Ḥusayn Aḥmad, Third edition, Lubnān, Miṣr, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Dār al-Rayyān lil-Turāth.
- al-Zurqānī, Muḥammad ‘Abd al-‘Azīm, 1415AH, *Manāhil al-‘Irfān fī ‘ulūm al-Qur’ān*, (in Arabic), taḥqīq : Fawwāz Aḥmad Zamarlī, First edition, Lubnān, Dār al-Kitāb al-‘Arabī